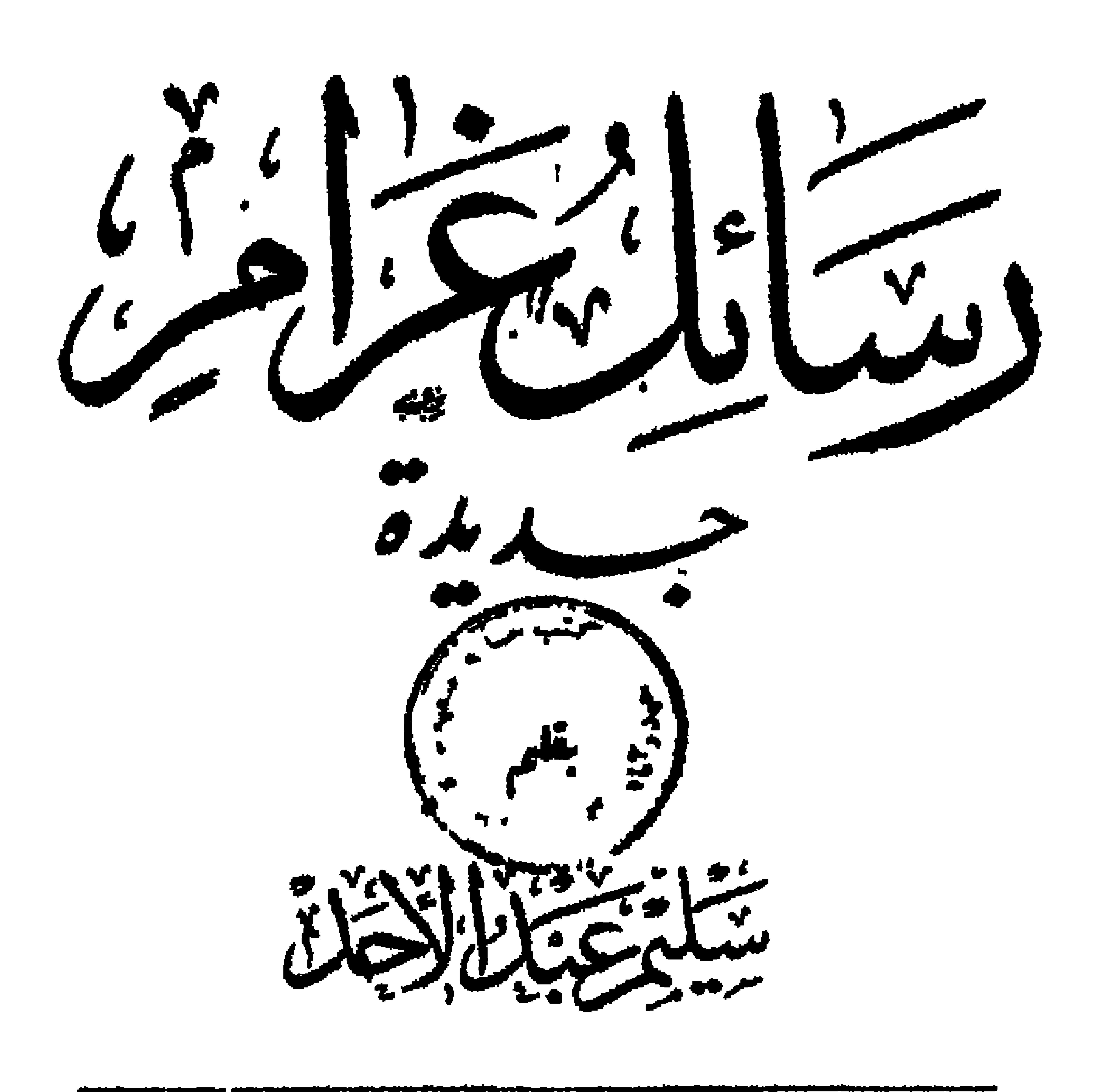
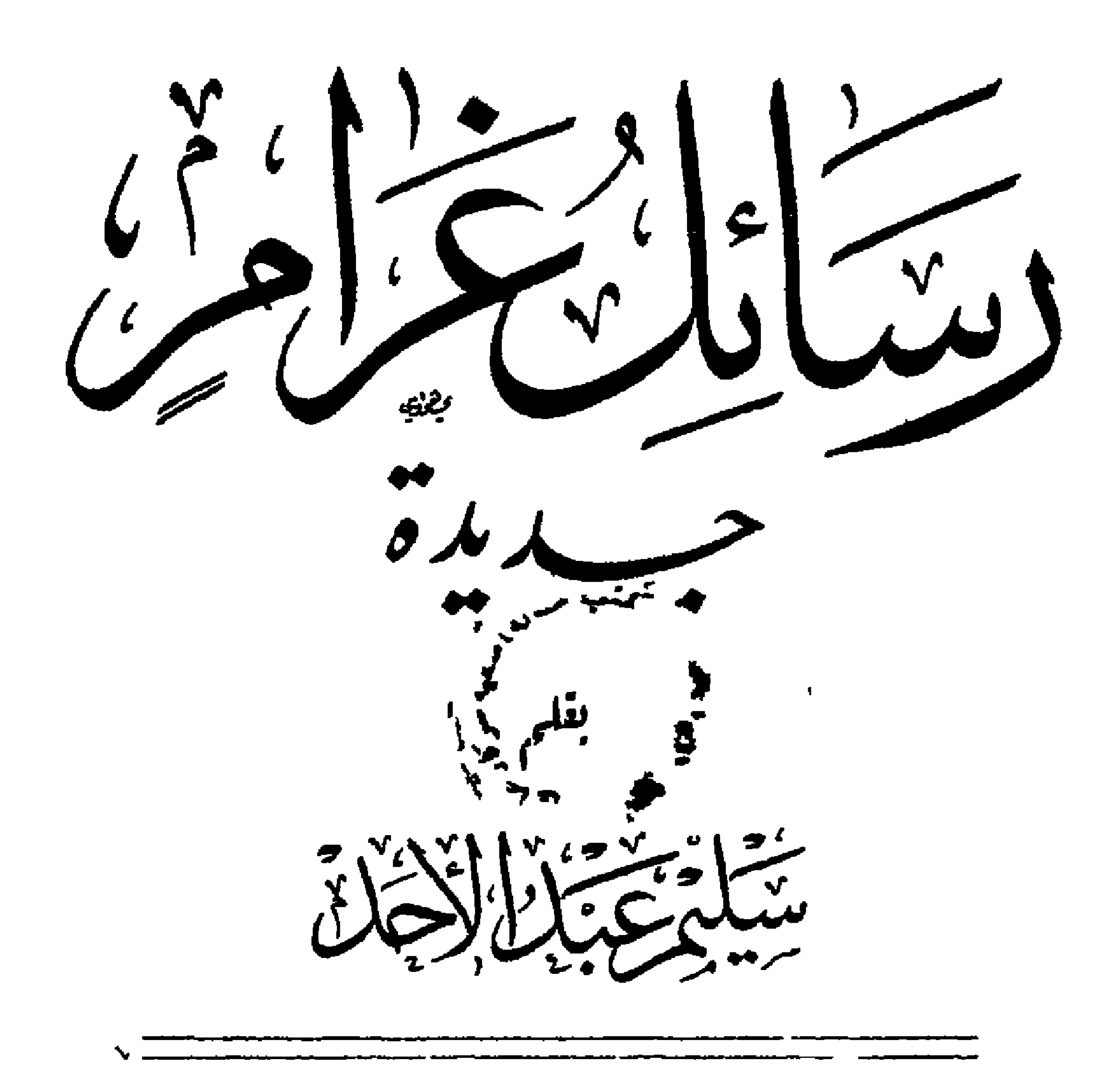



عني بنشرها

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية بمصر




عني بنشرها

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية بمصر

( المفاوضة مع صندوق البريد رقم ٩٥٤ بمصر )

تلفون ٥٦٢٠

# ديباجة

ظهر بعض هذه الرسائل منـذ مدة في مجلة « الزهور » ثم أعيد طبعها بين دفتي كتيّب ما ظهر حتى اختطفته أيدي القراء وتناولته الصحف في جميع أنحاء العالم العربي . وقد ألحّ عليّ الكثيرون أن أعيد طبعه خدمة لابناء اللغـة . فأعدت عليه نظرة وأضفت اليه ما تيسر جمعه من أمثلات الرسائل . وتوخيت في أسلوبه جزالة اللفظ وحسن البيان على قدر الطاقة غير ملتمس من القراء جزاءً غير حسن القبول . والله حسب ونعم الوكيل

سليم عبد الاحد



لذكرى فتاة ترقد في احضان الابدية !

# وقف احترام

## لذكرى فتاة ترقد في أحضان الابدية

أيتها الروح الطاهرة :—

اراكِ وقد خلعتِ عنكِ ثوبكِ الهيولي ولبستِ ثوب الخلود فأصبحت تحلقين في هذا الفضاء اللانهاية له . متنقلة بين كواكبه كما تتنقل الفراشة في الحقول . ولعلكِ قد أدركتِ الآن أسرار الخلود فصرت تزدرين عالمنا السفلي وما فيه من آلام وأحزان . على انه وان كانت ذكرى أيامكِ على هذه الارض مما لا تأنسين بها لِما أنتِ فيه الآن من نعيم خالد . فانها لذكرى نطرب لها ونجد فيها بلسماً لجروح لمّا يضمدها الزمان . ولما كنتِ أنتِ الموحية بهذه الرسائل الخالدة فقد وقفتها على ذكركِ الكريم تخليداً لتلك المأساة التي طواها الزمان ليضمها الى سفر الابدية

س . ع .

# باذن خاص

ايها الصديق

وددت لو انك لم تستشرني في نشر هـذه الرسائل فقد اوقعتني بين عاملي حيرة لا اجد لي مخرجاً من وسطهما . فاما ان اشير عليك بعدم النشر لاسباب لا تخفى عليك . واما ان اشـير بعكس ذلك فيطلع الجمهور على امورٍ كان اولى بها ان تظل بين دفاتر القلوب . على انك قد كفيتني مؤونة الحيرة فبدأْتَ بنشر الرسائل قبـل ان تقف على رايي في الامر . وقد طالعت ما نشر منها حتى الآن (١) فعدت الى ذكر ذلك العهد الهنيء . وتمثلت لي صورة تلك الايام التي لم اعرف فيهـا سوى اريج البنفسجة وزقزقة العصفورة وابتسامة الربيع . اما اليوم فقد علمتُ ان بعد اريج البنفسجة الذبول . وبعد زقزقة العصفورة السكوت . وبعد ابتسامة الربيع الشتاء

وقد اعجبتني نسبتك هـذه الرسائل الى مشاهير النسـاء والرجال وادماجك بهـا رسالتي كليوباترة وجوزفين . ممـا يدل على سـعة باع في حيلة لا يعرفها الا من عرف كيف آلت اليك هذه الرسائل . اما قولك ان الكثيرين يتساءلون عن مصـدرها

(١) كُتبت هذه الرساله في اثناء نشر الرسائل في مجلة « الزهور »

وكيفية عثورك عليها مع خلو كتب التاريخ منها فما لم يكن لي فيه شك . وقد بلغني ان الكثيرين من السيدات والرجال يترقبون ظهور اجزاء « الزهور » بفروغ صبر ليطلعوا على هذه الرسائل . وان بعضهم يحرص عليها حرص البخيل على كنزه

واقبل في الختام تحية . . . .

الصديقة

. . . . . . .

– ٨ –

# من شاعر القطرين

اخي سليما

قرأت هذهِ الرسائل في « الزهور » الغراء فوجدتها خير ما اوحته العقول الكبيرة الى القلوب الرقيقة واجرته القرائح المتقدة على الاقلام السيالة . وان فيها لآيات النبوغ الغربي تشف عنها مداعبات الغرام . ذلك لانني اعتقد صدق الكاتب الذي اذكر له ولا اذكرهُ رواية عن يوليوس قيصر قص فيها ان قيصر حين عاد الى روما بالغاً اوج عظمته فراى المباني والزينات التي شادها ابناء وطنه سروراً بنصرته الباهرة . وشهد الوف الالوف من تلك الامة العظيمة وقوفاً حول طريقه قادمين ليزيدوه تمجيداً وتأليهاً . جاز مدًى بين تلك المفاخر واولئك الرجال وهو ذاهل عنها وعنهم . يرسل نظره الى حدّ يجاوزها ويجاوزهم . فقال له في ذلك بعض المقرّبين اليه فأجاب : « انني كنت ساعتئذ لا انظر الى ما يحيط بي الا وهو ممثل بأحسن منه في عينين سوداوين مغرورقتين بالدموع فرحتين بي كل الفرح وان هما الا عينا حبيبتي جوليا »

ليس هذا غاية ما اعتقده بل اعتقد ان سرّ العظم في كل شيء

ولا سيما البيان انما هو ذلك الغرام الذي كاشفتَ قراء العربية باحاسن ما كتبه فيه اولو العبقرية من الغربيين

على اني لا اتصدى لامتداح الاصل فهو بنسبته الى اربابه غني عن كل امتداح . ولكني مسرور سروراً جماً بان نقلك اياه الى لغتنا الشريفة لم يفقده شيئاً من حياته وجماله . بل اوشك ان يوهمنا انك ناسخ لا مترجم

وأعرف ان فريقاً غير قليل من جمهور المعجبين بك العارفين بقدر ادبك قد اغتبطوا بعملك هذا كما اغتبطت . وانهم بعثوا اليك من تهانىء قلوبهم بأحسن مما ابعث به اليك على لسان قلمي . لان كل وسيط للتعبير عما في الضمير ينتقص من مزيده ويضعف من قوته . غير اني رايت هذا الشكر واجباً أؤديه اليك فأديته ولا منة به عليك

صديقك

خليل مطران

# رأي الكاتبة النابغة « مى »

## فى هذه الرسائل

### امس واليوم

( رأيها بالامس )

( رسائل غرام ) مجموعة خطابات متوهجة عذبة . جمالها وآهاتها دائرة حول الموضوع الذي لا يموت . مترجمها سليم افندي عبد الاحد من الكتاب ( القليلين عندنا ) الذين ينبهون اهتمامي ويمتلكونه . له فكر مختصر جليّ لامع لا يلامس موضوعاً الا بصبغةٍ معنوية . فينقلب التافه تحت قلمه جميلاً . وله عبارة قوية حسناء تنكر اصطلاحات « فقه اللغة » و « اقرب الموارد » الدهرية ولا تبرز الا بحلّتها الشخصية الانيقة . كأنها نجوم الماس صاغها عامل ماهر . وكثيراً ما بدأت بقراءة مقال لسليم افندي عبد الاحد فعرفت انه له قبل ان أرى توقيعه ؟

مى

( المحروسة في ٧ سبتمبر سنة ١٩١٥ )

( رأيها اليوم )

هناك وجوه هي اجمل الوجوه واصوات هي اوقع الاصوات واسماء هي اعز الاسماء . وهي الوجوه التي احدثت فينا تأثيراً لم تحدثه الوجوه الاخرى . وهي الاصوات التي ناجتنا اصداؤها بما لم تتلفظ به الشفاه . وهي الاسماء التي نبهتنا موسيقاها الى اهمية اختيار الاسماء . اولئك اشخاص نراهم بارعي الجمال وان لم يكونوا كذلك في نظر سوانا — لاننا في ملامحهم ومعانيهم وحركاتهم ونغمة اصواتهم واتجاه ارائهم وتكيّف افكارهم وعمق عواطفهم عثرنا على ما يطلبه شيء غامض فينا . كأنما هم الوسيلة الوحيدة التي نرتفع بها فوق المستوى العاديّ الى فلكٍ فيه تتجدد قوانا فتتسع نفوسنا شاعرة بالعواطف الكريمة مستنيرة بالمعاني السامية تائقة الى الاعجاب والنبل والصلاح والاقدام

وليس العظماء والعبقريون هم الذين خُصُّوا بتنبّه ومقدرة التعبير عنه . بل قد يبدو من معاني العاطفة الصادقة عند العامة ما يقف المفكر متهيباً حياله . ولكننا نتوقع تجلّي العظمة والعبقرية

في الارواح الكبيرة الممتازة خلال عاطفة الحب اكثر من تجليهما في اية عاطفة اخرى . لان الحب في ذاته عبقرية وعظمة ووحي وخلود . نتوقع من الارواح الكبيرة الممتازة تنوعاً وتفنناً وعمقاً واتساعاً وشمولاً لم يتيسر لارواح هي دونها ثروةً وتفرداً وجمالاً وقد تعذّر على النفوس الضيقة المحدودة المفتقرة الى المواهب والانوار

لذلك يشوقنا غرام الابطال والعظماء والعبقريين فنهب اسرار بريكلب واسپازيا وكليوباترا وانطونيوس ونهتم بالذي ميّزته مدام دي ستايل بين الرجال وبالتي انشد لها الفارض اناشيده بين النساء ونتذوّق امانة براوننج لتلك التي صارت زوجته حتى اذا قضت غدا ضريحها له اقدس هيكل يُقدّم عنده شعائر العبادة والادّكار لا سيما ان هذه العاطفة المكيّفة الشخصية لا تنحصر في نفوس اصحابها بل ما تلبث ان تبرز آثارها المختلفة في اعمالهم العامة فتكون ذات شأنٍ كبيرٍ في « تطوّر » الحوادث الادبية والتاريخية والعمرانية

***

وهذه المجموعة من الكتب المتجدّدة بتقدّم الزمان كالعاطفة الفائضة على صفحاتها . وقد دوّنها ذلك القلم الذي يعالجه سليم افندي عبد الاحد بحذقٍ فنّي . فتراه اذا كتب صفحاتٍ

حماسية حارّة كما في « اوراق متناثرة » تبينّتَ بين شقّيه نجيع الدماء وانتشار اللهيب وتوجّستَ دويّ الرصاص ونبرات الامر والتهديد . واذا وصل الى موضوع الحب والالم والذكرى مشى متأنياً متحفظاً كمن يكتب بمداد القلب شفيقاً مواسياً كهينمة النسائم ؟

مي

القاهرة في نوفمبر سنة ١٩٢٢

## مقتطفات من اقوال الصحف الاجنبية

لما ظهرت رسائل الغرام القديمة وقعت من جمهور القراء وقعاً جميلا وقرظتها الصحف على اختلاف نزعاتها . ولما كانت اقوال تلك الصحف تملأ صفحات كثيرة اجتزأنا عنها بايراد مقتطفات من اقوال الصحف الاجنبية فقط للدلالة على ما كان للرسائل من الوقع في نفوس غير قراء العربية . وهاك المقتطفات : —

### ﴿ رسائل غرام ﴾

« هي مجموعة رسائل عزاها سليم افندي عبد الاحد الى رجال ونساء معروفين ... وأعرب بأسلوبها الشائق عن تلك العاطفة الروحانية التي تتردد في صدر كل امرىء . وهذه المجموعة هي أبلغ ما يوحي به الحب الى القلب بل هي درس عقلي سام ينتشيء في نفس القارىء احسن الاثر »

( البورص اجبسيان )

***

« لا يهمنا ان تكون هذه الرسائل مما كتبه الاشخاص الذين قد نسبت اليهم او مما كتبه سليم افندي عبد الاحد نفسه وانما تقول انها مكتوبة بالاسلوب الذي يتوقعه القارىء من اولئك القوم وفي اعتقادنا انه ما من كاتب استطاع ان يعبر عن عاطفة الحب بمثل البلاغة التي عبر بها عنها سليم افندي عبد الاحد ... ولئن لم يتح الحظ لكل كاتب ان يصوّر تلك العاطفة كما صوّرها هذا الكاتب فمن المستطاع التمتع بمطالعة ما كتبه لان اسلوب هذه الرسائل هو من ارقّ ما ظهر حتى الآن فهو من السهل الذي يمتنع على الكثيرين ... بل هو اسلوب كاتب قد ملك ناصية اللغة وألمّ باصول الفصاحة والبلاغة »

( الاجبشيان مايل )

***

« اهتمت جريدة « البورص اجبسيان » في مقال افتتاحي بمجوعة رسائل نشرها سليم افندي عبد الاحد وصدّرها حضرة الشاعر البليغ خليل افندي مطران بمقدمة بليغة

وتقول البورص ان كل ما في هذه الرسائل من عواطف الحب والغرام من مبتكرات سليم افندي عبد الاحد ولذلك فهي تعجب به وتقارن بينه وبين بيار لويس الشاعر الفرنسوي الذي كتب عن قلب المرأة وصور الحب بأبلغ صورة ... فلا بدع ان تقرأ الاوانس هذه المبتكرات الشعرية المعبرة عن العواطف المختلفة ...

على ان الغاية التي يرمي اليها كاتب مقال البورص هي ان المصريين غير مهتمين بشيء قدر اهتمامهم بالشعر والادب ... وهو يجد هذا العمل موجباً للثناء على عبد الاحد افندي ومطران افندي لانهما اتحفا العالم الادبي بتلك النفحات »

( الاتحاد المصري )



كليوباتره تجرّب فعل السموم المختلفة في امائها

# رسائل غرام

## جديدة

### الرسالة الاولى

من كليوباتره الى انطونيوس

( انطونيوس هو قائد روماني شهير أقام في رومة بعد انتصاره على بروتوس وكاسيوس ( سنة ٤٢ ق . م ) حكومة ثلاثية (Triumvirat) ألفها مع اكتافيوس ولبيدوس . ثم سار من الغرب الى الشرق غازياً فأسره حب كليوباتره ملكة مصر الموصوفة بجمالها . وكان القيصر قد وقع قبله في حبالها . ولما اشتد الخلاف بينه وبين زميليه في الحكومة الرومانية كان له في ملكة مصر حليفة شديدة . ولكنه انكسر في موقعة اكسيوم البحرية وحوصر في الاسكندرية فانتحر . ولما بلغ كليوباتره خبر انكساره أطلقت على نفسها أفعى فمانت بسمها

وكليوباتره من اكثر نساء التاريخ شهرة بجمالها ونفوذها الغريب . وقد أفرغت حكايتها مع القائد الروماني في روايات تمثيلية كثيرة . اشهرها رواية شكسبير الانكليزي التي مثلت لأول مرة سنة ١٦٠٨ )

تحية وسلامٌ يحملهما رسول كليوپاتره حاكمة النيل المبارك وسايلة البطالسة العظام . الى انطونيوس الشريف النسر الجاثم على ضفاف التيبر

مرّت اربع سنوات على هجرك هذه البلاد التي دعاها آبائي في القديم الارض التي تظللها اجنحة المجد والملائكة . قد عبثتَ بهبة الزُهَرة وهجرت هيكلها الذي فتحتُ لك فيه قلبي وخضدت شوكة كبريائي لأنني احببتك غير حبي لسلفك القيصر . وأردتُ أن أرى عرشك بقربي على ضفاف هذا النهر المقدس . أحلتني في قلبك الى ان سحرتك عذارى « فستا » [1] في شخص « اوكتاڤيا » [2] الفاتنة فسدلت على الماضي حجاباً من النسيان وأغواك عرش « روملس » [3] ففضلته على عرشِ المجد في قلب امرأة طالما تمنى القياصرة والاكاسرة ان يركعوا عند موطىء قدميها كلما قارب الاله « را » [4] ان يحتجب وراء الأُفق ويغطس خلف امواج الابدية حملّته اليك تحياتٍ ازكى من الطيب الآتي من الجنوب . وأنقى من النسمات المنبعثة من الرياحين . ذلك لان

---

(١) هن العذارى الرومانيات الجميلات اللواتي كن يقمن على خدمة الهياكل (٢) اخت اكتاڤيوس القيصر (٣) هو باني رومية (٤) اله الشمس عند المصريين القدماء

الشعلة المقدسة لا تزال متأججة في احشائي ولا تطفئها الا رفرفة الاجنحة — اجنحة ذلك النسر الذي يتنقَّل الآن بين عذارى « فستا » كما تتنقل الفراشة في الحقول . فلتنشر تلك الفراشة اجنحتها الذهبية وتعبر امواج الابدية راجعة الى حيث الازهار والرياحين

ولقد كنت اظنك ايها القائد الشريف تكتفي بما قد نلته من جاه ومنعة . وتمسك عنان مطامعك عند الحد الذي بلغته من الشهرة والعظمة . فانني اتصور شبحك — الهائل المحبوب — وقد ثبّتّ احدى قدميك على ضفاف التيبر . والاخرى على ضفاف الفرات . فلم يبق امامك مزيد للشهرة الا في مخيّلة الآلهة . لذلك احبتك العذارى وصارت كل منهنّ تتغنى بنشيد الحكيم العبراني القائل « انا سمراء وجميلة يا بنات الزهرة . لا يدهشكن انني سمراء لان الشمس قد لوحتني . بنو امي غضبوا عليَّ فجعلوني ناطورة الكروم »

كن معافى ايها الشريف انطونيوس ولتحرسك الآلهة من قسيّ الاعداء . ولكن لا تنس وانت مستوعلى منصة «سلقيا»(١) ان في الاقاليم البعيدة عن حقول « اريكية » (٢) مليكة تضحّي بتاجها في سبيل مسرتك ولا ينعم لها بال الا اذا اشرقت عليها

---

(١) ام روملس باني رومية (٢) هي حقول بجوار رومية

اشعة ابتسامتك . فتعال نتمتع بهذه الحياة في حمى « افروديتي »[١] تعال نقم لها معبداً في حقول الآلهة فنأكل ونشرب لان غداً نموت . لا تغرنك بسطة الملك وسعة الجاه فان الحياة مستمدة من اشعة الزهرة لا من سهام « مارس »[٢] وكرسي « رعمسيس »[٣] ليس اقلّ مجداً من عرش « روملس » . تعال . لان الحياة اقصر من ايام البنفسج . والاحلام التي اتعلل بها ابهج من ان يتمتع بها بنو البشر

قد اعددتُ لك فلكاً ينسيك قصور رومية وعطرته بأريج يزري برياحين مادي وفارس . وجعلت لك فيه من العبيد والاماء ما سوف تحسدنا عليهم الآلهة . فهلمَّ اليّ يا ساحر رومية وصديق القيصر . هلمَّ اسمع اناشيد الحب التي تلهج بها شفتاي . ان كان التيبر[٤] قد سحرك فالنيل يفك عنك قيود ذلك السحر . او كانت تلال البلاتين[٥] قد اغوتك فان اهرام الفراعنة تكون موطئاً لقدميك . والارض التي تظللها اجنحة المجد والملائكة ترحب بك اينما حللت وحيثما اتيت

---

(١) هي الزهرة الهة الجمال والشهوات (٢) هو المريخ اله الحرب (٣) اشهر ملوك مصر القدماء (٤) هو النهر المبنية عليه رومية (٥) هي مرتفعات بنيت عليها رومية

ان رسولي الذي يحمل رسالتي هذه اليك يحمل معه ايضاً
قارورة طيب تقيك نبال الحاسدين وترشدك الى حيث تقيم من هي
مقيمة على عهود هواك . كن معافى . ولتحرسك الآلهة

من كليوباترة
وارثة النيل

## الرسالة الثانية

### من جوزفين الى ناپوليون بونابرت

(لا نخال احداً يجهل اسمي جوزفين وبونابرت وما وقع بينهما من النفور الذي أفضى الى الطلاق . وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٠٩ . الا ان جوزفين ظلت تراسل ناپوليون حتى ايامها الاخيرة . وكان موتها في سنة ١٨١٤ اي بعد سقوط ناپوليون . وقد امتدحها جميع المؤرخين واجمعوا على ان ناپوليون كان مديناً لها بأمور كثيرة . قيل انها كانت تتشاءم من ارتقائه العرش وتخشى ان يحمله ذلك على طلاقها والاقتران بأميرة من اميرات الاسر المالكة . وقد تم ذلك . اما الرسالة الآتية فقد بعثت بها اليه على اثر ولادة ولي عهده من ماري لويز قالت : )

صحوت اليوم وقرع النواقيس يملأ الجو وهزيم المدافع يرنّ في الفضاء . فسألت عن السبب فقيل لي ان جلالة الامبراطورة قد وضعت مولوداً سيرث عرش فرنسا ويضيف صفحة مجد جديدة الى تاريخ آبائه . وقد كنت اودّ لو بلغتني هذه البشارة منك قبل ان اسمعها من افواه الناس فكنتُ افرح لفرحك وتقرّ عيناي بأن ترى لك من يخلد لك ذكرك ويورثه للأجيال المقبلة . فان ساءك انني تمنيت سماع هذه البشارة من فمك . فان ما كان بيننا من العهد

السابق شجعني على تعليل نفسي بهذه الامنية . ولعل ذكرى ايامنا الماضية تشفع بي لديك وتبدد عن محياك غمامة الكدر والاستياء

لست اقصد يا صاحب الجلالة ان اترضاك بهذه الرسالة او اكفر عن سيآتي الماضية اليك . فان تلك السيئات اعظم من ان يشفع بها ما اعانيه من مضض هذا الفراق واحتمله من اراجيف الوشاة . ولا سيما انني لا اعرف لنفسي حسنة سوى انني احببتك حباً يقرب من العبادة . فكان جزاء حبي لك انك فصمت عرى مواثيقنا المقدسة بحجة انني لم ألد لك من يرث عرشك من بعدك . وبلغت منك القسوة ان اتهمتني بأمور ما انزل الله بها من سلطان

ولستُ بلائمتك على ذلك يا صاحب الصولجان . ولكن راعني ما رأيتني فيه من اليأس . فرأيت ان ابسط اليك كتابي هذا واهنىء شعبك بولي عهدك ووارث عرشك . مع انني احسبك في غنى عمن يخلد لك ذكرك . لان الذكر الذي خلفته ستتوارثه الاجيال المقبلة خلفاً عن سلف . ولسوف يأتي يوم يرى فيه العالم ان الآلهة أساءت اليّ اكثر مما اسأتُ انا اليك . اذ لم تقدّر لي ان اهبك من يخلد لك ذكرك من بعدك . لذلك حاولت ان تنزع حبي من قلبك . فلجأت الى غيري لتبلغ بها ما كانت نفسك تطمح اليه . فهنيئاً لها من امبراطورة سعيدة . وهنيئاً افرنسا بوارثها المقبل

ولقد رضيت بنصيبي هذا بعد ان احتملت منه في اول الامر ما تنوء من ثقله راسيات الجبـال . وكنت اقول يومئذ ان الزمان هو الطبيب الاكبر فلن يمرّ العام حتى انسى ما بيننا من وعودوعهود ولقد مرّ الآن ذلك العام وانا لا ازال اعاني ما كنت اعانيه يومئذ من غصص وحسرات

ويحزنني بالاحرى انني محرومة رؤيتك اذ تمرّ بي ايام طويلة ولا ارى لك حتى شـبه خيال الا في الحلم . ولو تعلم شدة هذا العقاب لكان لي من دموعي شافع لديك . ولـكنك قد اغمضت عينيك فلست ترى ما اعانيه من غصص مبرّحة . واذا كان في العالم قوة تمنعني من اخماد انفاسي بيدي فذلك لأنني واقفـة على هوّة الابدية وقد غطست فيها ركبتاي . فلماذا اضيف الى آثامي العديدة اثماً آخر بوضع حدّ لانفاسي بيدي ؟ فضلاً عن ان موتي قد يورثك من تأنيب الضمير ما لا اطيق ان اراك معذباً به . ولأشهى على قلبي ان اراك سعيداً وانا بعيدة عنك . من ان تعيش معذباً وانا قريبة منك

كان ينبغي ان افرح لفرحك اليوم . ولـكنّ ذكرى عهودنا السالفة لم تبقِ في قلبي مجالاً للسرور . اذ كيفما التفت ارى ما يروعني من الفرق بين الامس واليوم . ويزيد روعي كلما تأملت فيما عسى

ان يجيء به الغد . وقد يتمثـل لي شبح الغد بصورة تنين هائل . فيزيد بي انقباضي ولا ارى من خلال ظلمته الحالكة الا شعاع امل ضعيف هو ان انام ولا استيقظ في الغد . ترى هل يحزنك غداً موت امرأة كنت تعبدها بالامس ؟ ألم يصدق فيك المثل القائل ان البعيد عن العين بعيد ايضاً عن القلب ؟

لا يسوءك عتابي هذا فان اليأس الذي انا فيه هو الدافع لي على النطق بكلام ربما لا ترضـاه . وانني ليدهشني فرط الشجاعة التي بدت مني في خلال العام الغابر . اذ لم اكن اصدق قبلاً ان امرأة مثلي تستطيع ان تحتمل ما احتملته من عذاب وشقاء . والذي شجعني على احتماله هو رجائي ان يكون لي من ورائه كفارة عن هفواتي تشفع بي لديك وتنسيك كل شيء ما عدا حسنتي الوحيدة وهي انني احببتك حباً مخاصاً لم ينقصه ما كان يبلغك عني من الاراجيف . وليست غايتي الآن ان ادافع عن نفسي بين يديك . فان ما كان بيننا قد انطوت صفحته . وقضاؤك لا مرد له . وانما اردت ان انبهك الى امر قد يسهو عنه الملوك والعظماء . وهو ان واضع الشريعة يجب ان يكون نموذجاً للعدل . واما انت فقد وضعت نفسك موضع الخصم والحكم . وسددت اذنيك عن سماع صوت الرحمة والرأفة

لما كنت اسمع بانتصاراتك الباهرة كنت أفرح واشعر كأنني

حاملة راية النصر . ولا ازال حتى الآن اتوق الى سماع اخبار انتصاراتك واتمنى ان تضيف منها كل يوم صفحة جديدة الى تاريخك المجيد

وفي الختام اقبل تهنئاتي لك بوراث عرشك . واطال الله بقاءك حتى ترى اولاد اولاده ...

جوزفين



## الرسالة الثالثة

من مسز هملتون الى الاميرال نلسن

(كانت مسز هملتون اجمل نساء عصرها وقد جرى لها مع الأميرال نلسن امور معروفة في التاريخ انتهت بانفصالهما وبعثت اليه بالرسالة الآتيـة على اثر ذلك . قالت : — )

لا يشفع في كتابتي اليك الا ذكرى ايامنا الماضية والاماني التي كنا نتعالى بها . وقد انطوت اليوم صفحة تلك الآمال وانقضى ما بيننا من عهود كانت اشبه بحلم عقبته يقظة هائلة

كيفما التفتُ أرى العالم أشبه بفراغ لا تستطيع الكائنات جميعها ان تملأ زاوية من زواياه . ذلك لان قلبي الذي كان طافحاً باحلام السعادة قد اصبح اليوم خالياً . ولعل قلبك ايضاً مثله فلا حبّ ولا آمال ولا عهود ولا وعود

هل تذكر ايامنا السالفة والعهود التي كانت تربط قلبينا معاً رباطاً كنا نهزأ اذا قيل لنا ان الايام ستفتّ فيـه ؟ ألم تقل لي يومئذ انك تحب الحياة لانني في الحياة . وتخشى الخلود لانهُ قصير المدى في اعين المحبين ؟ فأين ما كنا نتعلل به من الاحلام ؟

***

... انا جالسة تجاه نافذتي اكتب اليك هذه الاسطر ولا اعلم

أين أنت . أنت بعيد عني ولعل بيني و بينك شقة شاسعة من الماء والفضاء . أرى الشمس وقد أوشك قرصها ان يختفي وراء الافق وهي تنثر التبر من اشعتها الذهبية . كنت أود لو انها لم تكن مشرقة على هذا العالم لان ذلك ادعى الى مؤاساة الحزين . ولان في ابتسامتها شماتة بالقلب المنكسر

***

لست الومك لما جرى ... ولكنني آسف لزهرة غرسناها فلما آن قطافها لفحتها ريح محرقة . فاذا كانت الآلهة تعاقب البشر فهذا منتهى الشدة في العقاب . ألم أحب الآلهة لانني احببتك ؟ ألم اتصوّرك الكل في الكل ؟ ألم أقل لك انني اخشى ان ينتهي الخلود قبل ان يشبع القلب من حبك ؟

***

لزمت الفراش مدة فلم ابرح من غرفتي . لا أزال أشعر بضعف وشقاء . في الجوّ غيمة وفي قلبي غيوم . ليتني أنسى الماضي واعود الى ابتسامتي السالفة . اتذكر يوم كنت تقول لي ان ابتسامتي مسروقة من ثغور الملائكة ؟ فأين أنت اليوم لتنظر ما قد حلّ بتلك الابتسامة ؟

حقاً ما اظلم الآلهة ! انها تمنح الربيع للطبيعة . والاريج للازهار . والحب للقلب . ولكنها تمنع الابتسامة من ثغور الحزانى . فما اشقى القلب الحزين — الحزين بسبب الحب !

***

فكرت فيك اليوم ملياً لسبب لا ادريه . ذكرتك فرأيتُني كمن يستيقظ من حلم هائل . اصحيح ان ما بيننا قد انتهى ؟ أصحيح ان صفحة الماضي قد انطوت ؟ لماذا اذن لا تنطوي معها هذه الحياة ؟ لماذا لا تخمد نبضات هذا القلب وتهدأ دقات هذا الفؤاد ؟ اهذا الحدّ يبلغ بالمرء الشقاء ؟

***

ان الزمان هو الطبيب الاكبر ايها الحبيب . فهو سيشفيك من مرض الحب الذي ألم بك ردحاً من الايام . وربما لا تزال آثاره في زوايا قلبك الذي كان قبلاً مسكناً لي . سوف يأتي يوم لاتذكر فيه من هذه التي تخاطبك الآن سوى شبح يتضاءل كلما مرّت الايام الى ان تسدل عليه حجاباً وتقذف به في هاوية الماضي . وما أرعب تلك الهاوية التي لا قرار لها فهي تفغر فاها لتبتلع كل تذكاراتنا واحلامنا الماضية !

قلبي مفعم غماً وآلاماً مبرحة . ونفسي تميل اليوم كثيراً الى الدير . ولكنني كلما ثبتُ الى نفسي رأيت الدير اشبه بمقبرة تزجّ فيها الفتاة نفسها وتقضي على البقية الباقية لها من الامال في هذه الحياة. يقولون ان الدير اول محطة على الطريق الى السماء . ولكن فاتهم انه ايضاً مقبرة للاحياء تدفن فيها المرأة ما ابقى من حشاشتها الغرام ...

## الرسالة الرابعة

من الاميرة اميليا الى الجنرال فتزروي

( كانت الاميرة اميليا اصغر اولاد جورج الثالث ملك انكلترا وقد اشتهرت بجمالها الرائع وصفاتها السامية . وكان الملك جورج كثير الهموم لما يحيق بالمملكة من المصائب ولان اولاده جميعهم علقوا بنات من العامة . فوجه عنايته الى ابنته اميليا وكان يحبها محبة شديدة . الا انها وقعت في حب الجنرال شارل فتزروي وكان من المقربين في بلاط ابيها فأحبها كما احبته. ولكن اخلاصه للملك جعله يكتم حبه فكان من جراء ذلك ان الاميرة اميليا نحلت وماتت . وكانت آخر كلماتها انها اوصت الاميرة ماري بان تبلغ شارل تحيتها الاخيرة له . وهاك احدى رسائلها اليه . قالت : — )

حبيبي شارل

أرقت البارحة كثيراً فلم تغمض لي عين ولا استقرّ بي السرير . حاولت كثيراً ان اطبق اجفاني فكانت رسالتك الاخيرة تزيد في شجوني وتبعد عني النعاس . ولو انك علمت ما سيكون من تأثيرها فيّ ما خططت منها حرفاً واحداً

ليتك اليوم قريب مني يا شارل . ليتك الى جانبي فكنت

ترى ما ابقاه لي حبك من حشاشة ذائبة وكبد لا تلبث ان يقضي عليها اليأس . فان كان فؤادك قد دبّ اليه شيء من الفتور فلماذا تجعاني اعلل نفسي بآمال كاذبة ؟ ولماذا تخادعني بغرام اشبه بسحابة صيف تلوح قليلاً ثم تنقشع ؟ ألم أفتح لك قلبي واسكب لك مافيه من حب وآمال ؟ فلماذا تحـاول ان تستر عني مكنونات فؤادك وتسدل عليها حجاباً يحول بيني و بينك ؟

اراني معذبة من اجلك يا شارل . فان كان هذا العذاب جزاء حبي لك فانعم به من جزاء . انني استعذب كل عذاب من اجلك الا فراقك . فان كان قد قضي به عليّ فما اشقى القلب الرازح تحت ثقل الحب !

ليس لي اليوم الا تعزية واحدة هي التمتع بذكر ما فات . فانا أنفق ساعات الفراغ في مراجعة رسائلك الماضية حتى لقد كاد بعضها يفنى من كثرة تلاوتي لها . ذلك لان قلبي عطشان — عطشان اليك ايها المستريح من عناء الحب ! . . .

اتصوّرك وقد حجبت وجهك وطويت كشحك وسددت اذنيك فلا تسمع نبضات هذا القلب ولا تبصر ما ألم به من النحول . أليس حراماً عليك ان تعتقل برباط الحب فؤاداً خاليًا ثم تدير عنه وجهك وتقول عليه السـلام ؟ في ذمة الله يا من لا أزال اذكره واحبه ! .

امامي صورتك التي اهديتها اليّ. كلما نظرت اليها ثارت عواطفي في داخلي وفاضت نفسي اليك . عوّدتني ان القي بنفسي بين ذراعيك ففي احضان من ألقي بها بعـد اليوم ؟ ليت الابدية تتثاءب وتفتح فاها فكنت أثب الى احشائها واتخلص من حياة كلها تعاسة وشقاء

ألا ما اتفه الكائنات وأشد فراغها لولا الحب . لولاه لكانت ساعات الابدية طويلة مملة . اليس الحب تحية الملائكة لسكان السماء ؟ اليست العين تستنير بأشعة الشمس والقلب يستنير بأشعة الحب ومصدر كليهما ابتسامة الآلهة ؟ فان كان يحتم على الانسان عبادة الآلهـة فلأنها مصدر الحب . في كلا الحب والعبادة تركع النفس امام معبود لا تدركه ولا تلم به . في كليهما تناجي النفس النفس وتخاطب الروح الروح . وفي كليهما يكون السكوت ابلغ من النطق ! . . .

لديّ اخبار كثيرة كنت اود ان اكتب اليك عنها لو لم يكن قلبي رازحاً تحت عبء من الهموم . وما الذي يهمك اليوم من اخباري بعد ان طويت صفحة الماضي وتناسيت ما كان بيننا من عهود ووعود ؟ ايكون حب الرجال أقصر من ايام البنفسج ؟ أبمثل هذه السرعة تنطفىء تلك الشعلة الروحانية وتترك القلب في ظلام دامس؟

***

نزلت اليوم صباحاً الى الحديقة فجلست تحت الشجرة التي تفيأناها معاً لآخر مرة . حدّقت في الحجرة التي كنت جالساً عليها فثارت فيّ عواطفي وأسرعت نبضات قلبي اذ تذكرت تلك الساعة السعيدة . هل تذكر ان الفصل كان ربيعاً والنسيم عليلاً وكل ما في الطبيعة يضحك ويبتسم ؟ فما ابعد الفرق بين ذلك الربيع وهذا الخريف . وما اشدّ وطأة الخريف على القلب المنكسر . انه يذكرنا بخريف الحياة عند ما تذبل زهرة الحب ويهدأ خفوق القلب وينقطع نشيد الملائكة – نشيد الحب الذي تناجي به الروح الروح

لماذا انت حزين منكسر القلب يا شارل ؟ ان كان لاحدنا ان يحزن فلي انا الحق الاول في ذلك . واما انت فممّ تشكو ؟ وما الذي يحزنك في هذه الحياة ؟ ألم يمنحك الله شباباً وجمالاً وعقلاً وكل ما يتمناه الانسان في هذا العالم ؟ أليس مجال المجد متسعاً امامك وقلب كل امرأة فدية لك ؟ فافرح اذاً لأن الحياة اقصر من ايام البنفسج . افرح لان عبوستك تزيد في دجى هذا العالم وظلماته . افرح لان اشعة الابتسام تبدد غيوم الحزن . افرح لان العزاء الوحيد الباقي لي بعدك هو ان اراك سعيداً في هذه الحياة

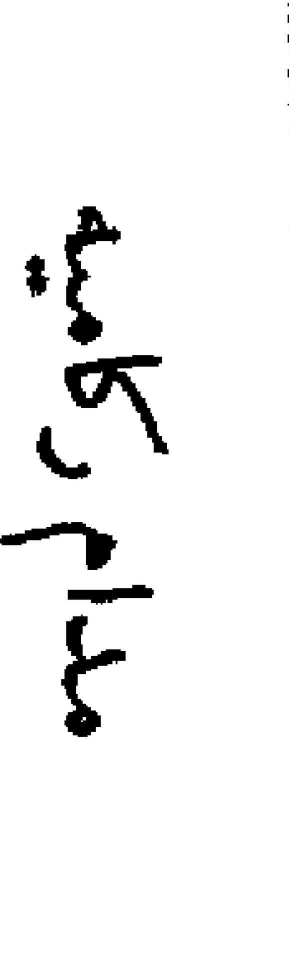
سلام عليك من حشاشة ذائبة . سلام عليك من كبد مقروحة .

سلام عليك من مقلة دامية . ربما كانت هذه آخر رسائلي اليك فقد اشار عليّ الاطبـاء بالابتعاد عن هذه المشاهد التي تذكّرني بك وبايامنا الماضية

اما أنا فقيمة على حبك ثابتة في ولائك مقسمة أن لا انساك

اميليا





مدام كامية

## الرسالة الخامسة

من مدام ركاميه الى السر رالف انزورث

( في القرن الثامن عشر ولدت فرنسا نبوليون ابن المرّيخ ومدام ركاميه ابنة الزهرة . فاخضع الاول العالم بسيفه واخضعته الثانية بجمالها . واشتد النضال بين الاثنين . فبينما كان العالم يركع عند قدمي باريز كانت باريز تركع عند قدمي مدام ركاميه . واراد نبوليون ان يتزوجها فرفضته

وتزاحم عليها جمهور من الاشراف والعظماء منهم البرنس اوغسطس البروسي والدوق ولنتسون الانكليزي وغرندوق آخر ولكنها هامت بحب فتىً من نبلاء الانكليز كان رئيس عصبةٍ تألفت يومئذ لانقاذ الاشراف الفرنساويين من مخالب الثورة الفرنساوية . على ان موانع حالت دون اقترانها به فاقترنت بغيره مكرهة . وكان زواجها هذا ارتباطاً في الظاهر فقط . ثم مات حبيبها بعيداً عنها ومات بعده زوجها ايضاً . وقيل ان نبوليون سعى في قتله انتقاماً منها . وبعد سنين قليلة نشأت مودة عظيمة بينها وبين شاتوبريان الكاتب الافرنسي الشهير فزعم الناس انها ستقترن به . ولكن قلبها كان لا يزال متعلقاً بذكرى حبيبها القديم . وقد بقيت اربعاً وثلاثين سنة وعالم الجمال خاضع لسلطتها . وفي اثناء مرضها كتبت الرسالة

الآتيـة الى السر انزورث ولـكنها لم تستطع اكمالها نختمتها صديقتها مدام ستايل الكاتبة الافرنسية الشهيرة وكانت من اعز صديقاتها . (ولمدام ركاميه صورة شهيرة في احد متاحف باريس الـكبرى )

ملاكي الحارس

جلست الآن امام نافذتي ارقب الافق وانظر الى الغيوم البيضاء تنعكس عنها اشـعة الشمس الحمراء . وقد هاج مرآها في نفسي تذكارات رجعت بي الى ايامنا السالفـة . فأخذت القلم لأكتب اليك هذه السطور مع ان الطبيب قد نهاني عن الـكتابة والمطالعة وأمرني بالتزام الراحة والسكون . ولـكنني اشعر بشوق الى مخاطبتك وان يكن عن بعـد واريد ان ابثك ما ابقته الايام من اثار ذلك الحب القديم

لست اعلم اين انت يا رالف فقد طال عهد فراقنا حتى صرت ارى ايامنا الماضية اشبه بغمامة صيف لاحت قليلاً ثم تلاشت في الفضاء . يقولون انك الآن في الهند حيث تتمتع بهواء أجف من هوائنا . فان الفصل عندنا الخريف ومرأى الاغصان المجردة يثير في النفس لواعج محزنة . ولو كنت هنا لأحزنك مشهد الاشجار العـارية والحقول المقفرة فان زقزقة العصفورة قد انقطعت وهديل

الحمام قد بطل ولم يبق الاّ خرير الماء يملأ الوادي كأنه أنة عاشق منكسر القلب

وقد اذكرتني هذه الشمس الزائلة وقفتنا الاخيرة عند الغروب يوم اتيت لتعيد اليّ رسائلي وتأخذ رسائلك لان اهلك وقفوا يومئذ بيننا وحالوا دون تحقيق احلامنا

في ذمة الله ايامنا الماضية ! في ذمة الله احلام غرام لم يبق منها الاّ ذكرى تتضاءل بمرور الايام . أيعود الماضي فيبعث لنا من اكفانه أمانيّ دفناها فيه ؟ أيعود فيحيي لنا آمالاً كانت تظللنا بأجنحتها الذهبية ؟ لقد انطوت الآن تلك الاجنحة واستراح الرقباء الذين لم يغمضوا اجفانهم حتى فرّقوا بيننا فلا يعلم احدنا بمقر الآخر

بل ان مقرّك في فؤادي يا رالف . وانما فقدت فؤادي ففقدتك ... وقد كنت اظلك بأجنحة الحب وأرسل عليك أشعة الحب واسمعك اناشيد الحب . فلم يبق اليوم من تلك الاجنحة الاّ سحابة زائلة ومن تلك الاشعة الاّ نور ضئيل ومن تلك الاناشيد الاّ خفوق قلب منكسر

قضيت اشهر الصيف متقلّبة على سرير المرض وانا الآن في طور النقه . يقولون انني كنت أردد اسمك في ساعات غيبوبتي وأذكر ايامنا الماضية . اما انا فلا اتذكر من ذلك سوى انني كنت

كلما سمعت صوتًا بباب غرفتي ألتفت لأرى أأنت الداخل أم غيرك ؟

كنت في اثناء مرضي أتعزّى بفكر غريب . كنت اعالل نفسي بالموت واتمنى ان انتقل الى عالم الارواح لكي تحلق روحي في فضاء الابدية فترفرف حولك وترقبك من علوها الشاهق . ولكنَّ فكراً آخر كان يروعني فقد كنت اخشى ان يزيد موتي في حزنك فلا تجد لذة في الحياة . ولكن من يعلم ؟ لعل حبي لك غير حبك لي يا رالف . أنا اعلم انك تفضلني في كل شيء . فأنت اشرف اصلا واغنى ثروة واجمل طلعة واوسع جاهًا واكثر ذكاء . انت تفوقني في كل شيء . ولكن هنالك شيئًا واحداً افوقك فيه وهو الحب . حبي لك مستمد من حب الملائكة فهو انقى من ندى الصباح وارق من خطرات النسيم وأرسخ من راسيات الجبال وأطول من مدى الخلود وابعد من حدود الابدية . حبي لك يريني للحياة معنى جديداً فيصورها لي ربيعًا مستمرًّا . ولكنه يخيفني من الخلود لأن الخلود قصير المدى في نظر العاشقين

اجل يا رالف . كثيراً ما تمرّ بي دقائق تزيد في شقائي فأندم لأني رضيت بالبعد عنك وأتمنى لو ابيتُ مفارقتك على رغم معارضة اهلك . ولكنني اتعزّى بهذا الفكر وهو انني فعلت ذلك لكي اكفيك مؤونة الخلاف مع اهلك لانني اكره ان اكون السبب في ذلك

انا اميل اليوم الى الوحدة وأجد فيها تسلية كبيرة لانني استطيع بها ان اتفرّغ للتفكر فيك . هل تذكركم كنت محبة للهو والمرح؟ وأما اليوم فانني أحب العزلة لانني اجد في هدوء الطبيعـة عظة ابلغ من النطق واسمع من خلال سكوتها اناشيد « هلاَّس » ذات القيثارة الذهبية فاتصوّرني مترامية بين ذراعيك واحدق النظر فيك وأسرّ اليك نغمات الغرام .

لعلي اطلت هذه الرسالة عليك . ولكن قلبي مفعم بتذكارات تهيج في نفسي لواعج حزن وسرور . وانا اريد ان ابثك ما استطيع من مكنونات الفؤاد اذ من يدري هل أجد فرصـة كهذه لمناجاتك ايها الحبيب ؟ ولكن الظلام قد احدق فسأبقي هذه الرسالة الى الغد

الى الغد ! . .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

( بعد اسبوع )

مولاي ... طلبت اليّ « جان » ان اكمل هذه الرسالة وابعث بها اليك فقد علمت عنوانك . ولا شك انك تود الوقوف على خبر منها . يا لشقائها ! انها تحبك حتى الموت وتزدري العـالم كله من اجلك . مضى عليها يومان وهي في غيبوبة لا تشعر معها

بشيء . وتراني جالسة تجاه سريرها اذرف العبرات ولكنني اتجلد واتعلل بالآمال . قلت لها اول البارحة ان الطبيب شديد الأمل بشفائكِ فابتسمت ابتسامة ازدراء وأدارت رأسها على وسادتها كأنها تقول « أنا اخبر بنفسي من الطبيب » لو رأيتها اليوم لأدهشك كم غيرها الزمان . ليتك تحضر وتشاهدها فلعلك تعيد اليها شيئًا من الحياة . .

مدام ستايل



## الرسالة السادسة

### من توماس هود الى روح خطيبته كليمانسي

( توماس هود من ابلغ شعراء الانكليز عاش في النصف الاول من المئة التاسعة عشرة . توفيت امه وتركته طفلا لعناية رابتـه فنشأ رقيق الاحساس والعواطف حتى بلغت به رقة الشعور حد الجنون . وكان يهوى فتاة جميلة تدعى مس كليمانسي عاهدها على الزواج ولكن فرط الديون التي كان يطالب بها الجأته الى الفرار من انكلترا فلم يرجع اليها الا بعد موت حبيبته وقد كتب اليها الرسالة الآتية على اثر موتها ونظم فيها قصيدة من ارق ما تصوره شاعر في هذا الموضوع )

ايتها الروح الطاهرة :

لست اعلم اين انت الآن واين مقرك من عالم الابدية . لعلك ترفرفين بأجنحتك الذهبية في هذا الفضاء اللانهاية له وتتنقلين بين كواكبه السابحة كما تتنقل الفراشة في الحقول . وسواء اكنت مستقرة في رحبته ام محلقة في فراغه فلا شك انك ترين عالمنا هذا اقلّ مما يرى النسر النملة من علوه الشاهق وتتذكرين ايامك القليلة على هذه الارض السابحة معك في فراغ غير مدرك الحدود

فان كنت وانت خالعة ثوب الهيولى قد نسيت ايام كنا

نجلس معاً على شاطىء تلك البحيرة الهادئة . فأنا لا أنسى تلك الايام السعيــدة بل اذكر كيف كنا نحبسُ شفاهنا عن النطق لتتكلم القلوبُ. ونحدق بأبصارنا في الافق لنتفرّغ للتأمل في الحب . ولقد اذكرتني بك اليوم مفكراتي التي ولعت بتدوينها منذ حداثتي وكان بودي ان تبقى ذكرى الماضي دفينة في الفؤاد لان في عودتها الى البال فتحاً لجروح لا تقبل الاندمال

ايتها الروح الطاهرة . سلام الله عليك كلما برزت الشمس من وراء الافق تنثر التبر من أشعتها الذهبيــة ! ان كنت قد سلوتني فان بين جنبيّ قلباً لا ينبض الا لذكراكِ ولا يخفق الا لخفوق جناحيكِ . وان كان عالم الارواح قد أنساكِ عالم الهيولى فلا كانت الابدية ولا عالمها ! لان ساعة واحدة بقربكِ اشهى من الخلود في فردوس لا تكونين فيه . وما الذي يهمني ان طال الخلود او قصر ان لم تكوني في ذلك العالم الخالد كما كنتِ في هذا العالم الفاني ؟

بل انعمي بالاً ولتقرّ عيناكِ بما انت فيه من نعيم وهناء ! فحسبي سعادة ان تتمتعي بما تشتهين . وثقي بأن قلبي الذي كان يود ان ترفرفي فيه بجناحيك لهو فارغ الا من رسمك . وقد دُفن الحب في كل زاوية من زواياه فهو مثقل بيأس تنوء به راسيات الجبـال

ايهٍ ايتها الروح الطاهرة ! ما الذي ترينه في ذلك العالم الواسع من اسرار الحياة ؟ وما الذي شغلك عن ذكرى حبنا القديم ؟ لقد

كنتِ وانت على هذه الارض تصفينه بالخلود وتقولين انه مستمدٌ من عالم الارواح اذ لا بداءة له ولا نهاية . فاذا صدق قولهم ان الارواح تحلق في الفضاء فلماذا لا ترفرفين حولي بجناحكِ وتسمعيني ذلك الصوت الرخيم الذي عوّدتني سماعه وانت بعد على هذه الارض؟

سقياً لمواقف ذلك الغرام . قد كنت في الحياة خافقة الفؤاد وانت الآن خافقة الجناحين . وأما انا فلا ازال كما كنتُ ثابتاً على الولاء مقيماً على العهود . وان كان لي امنية في هذه الحياة فهي ان امتع بنظرة منك في عالم الابدية واظلك بجناحيّ في فردوس البقاء

كثيراً ما اقصدُ الى مثواكِ وأتفرسُ في تلك الحفرة التي يرقد فيها هيكلك الجثماني رقدته الدائمة . فتضيق الدنيا في عينيّ وتتمثل لي رحبة الفضاء الذي تحلقين فيه اضيق من سمّ الخياط . ولكم وقفتُ برمسك خاشع الطرف حاسر الرأس وعواطفي ثائرة في داخلي . فأرى الحياة حلماً والعالم كله مجموعة شقاء . وانى للحلم ان يستمر نعيمه اذا انتقلت النفسُ منه الى يقظة رائعة ؟

القبر ! حيث ينقطع كل صوت وتبطلُ كلُّ حركة ! حيث تنحلّ الهيولى وتنتهي الحياة ! حيث يضيع كلُّ عزاء وتقلّ كلُّ مؤآساة

ما أتفه الحياة بدونك يا كليمانسي ! كل يوم منها ابدية مملةٌ .

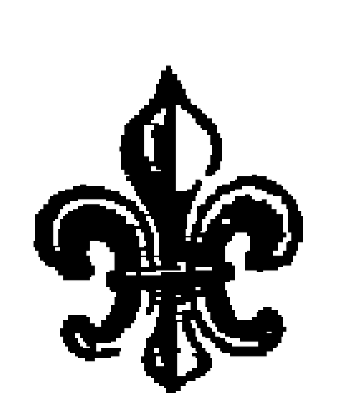
والنفسُ لاعزاء لها سوى الغد . ولكنّ الغد غامضٌ كاسرار الابدية . فاذا لاح فجره بكيتُ على امسه

هي ايام تنقضي يا كليانسي وما بقي منها اقلُّ مما عبر . ولا بد ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيه آخر صفحة من العمر . فيتثاءب القبرُ واصغى الى حفيف اجنحتك . والنفس تائقة الى النجاة من اغلال المادة لتحلّق معك في فراغ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ ان احلامنا لم تتحقق في هذه الحياة . فهل تتحقق في العالم الآخر ؟ ام تكون الابدية اقسى من عالم الفناء فيمتدُّ بنا الفراق وينقطع كل امل من اللقاء ؟

انني انتظر ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء . . .

توماس



## الرسالة السابعة

من الاميرة اميليا غوستاف الى الامير هنري اولدنزال

(كان الامير رودلف غوستاف ملك احدى الولايات الالمانية قد تزوج في اثناء طوافه بفرنسا فتاة فرنسوية وضيعة الاصل وكتم زواجه عن الناس ثم هجر زوجته وعاد الى المانيا . وبعد زمن بلغه ان امرأته قد رزقت منه ابنة هي طريدة شريدة في ازقة باريس . فعاد الى فرنسا وأخذ يبحث عنها حتى وجدها بعد عناء كبير ورجع بها الى المانيا . وكان كل من يراها يقف حائراً مبهوتاً لجمالها الساحر. فلم يمر على قدومها بضعة ايام حتى كان جمالها الرائع حديث القوم وموضوع تغزل الشعراء . ولم تكن محاسن آدابها تقل عن محاسن جمالها فقد كانت على جانب عظيم من الشمم وعزة النفس . واتفق انها رأت ابن عمها البرنس هنري اولدنزال فاحبته واحبها حباً مبرحاً . ولكن تاريخها الماضي كان في نظرها وصمة سوداء فلم تشأ ان تصم بها حياة ابن عمها . فاختارت « الترهب » حباً به مع شدة الحاح اهلها وجميع اهل البلاط. وماتت في دير جيرولستين شبعانة من متاعب الحياة وآلام التذكارات . وقد كتبت الرسالة الآتية الى حبيبها عند اوائل دخولها الدير )

ايها الحبيب

امامي رسالتك الاخيرة كلما قرأتهـا شعرت بشوق اليك وحنين الى مخاطبتك . اراك رازحاً تحت ثقـل من اليأس فيزيد بي حزني واودّ لو اننا لم نرَ بعضنا بعضاً قط . اذ لولا الحب ما كنت حزيناً منكسر القلب . ولو لم تعرفني ما شُغلت بي عن العـالم اجمع . فان كان ذنبي اليك انني اذكيت في قلبك جذوة الحب فاني مستعدة ان اطفىء تلك الجذوة واكفّر عن ذلك الذنب بأن أضع حدّاً لنبضات قلبي المثقل باعباء الهموم . والا فلماذا انت حزين يا هنري؟ ولماذا يجعلك حبي شقياً عوضاً عن ان يمتعك بالسعادة والحبور ؟ هل يسوءك انني دخلت الدير وانت تعلم لاجل من دخلته ؟ أليس ذلك أسطع برهان على ان حبي لك صحيح ثابت ليس له بداءة ولا نهاية ؟ فان كنت تحبني كما احبك فلا تكتب اليّ بلهجة اليائس . بل كن فرحاً مسروراً لانني احب ان اراك كذلك ايهـا الحبيب وينقبض صدري كلما تصورتك حزيناً مثقلاً بالهموم

دخلت الدير يا هنري لانني اجد فيه راحةً وسلاماً فاستطيع ان اخلو بنفسي واناجيك عن بعد . واضيف الى عهودي السابقة عهـداً جديداً لا تفصم عراه حتى تنطوي صفحة الخلود . فاذا لم يقدّر لي ان اراك في هذه الحيـاة فان موعدنا الضفة الاخرى من

نهر الابدية حيث نحلق كلانا في ذلك الفضاء الرحيب متنقلين بين الـكواكب كما تتنقل الفراشـة بين الحقول

لماذا تلومني على دخولي الدير يا هنري ؟ أليس الدير اول محطة على الطريق الى السماء حيث نجتمع بعد ان نخلع هذا الثوب الهيولي ؟ فلماذا يسوءك هذا الامر وانت عالم بما ينطوي عليه من راحة وعزاء ؟

هي ايام تنقضي يا هنري . فاما ان يشفيك الزمان من غرام الشباب . او ان يزيدنا الفراق ثباتاً في الحب . وسواء أقدّر لنا اللقاء في هذه الحيـاة ام لم يقدّر فانني مقيمـة على عهودي لك لا اميل عنك قيد شعرة ولا انساك طرفة عين

... اكفني عذاب الذاكرة يا هنري . ان السرور الذي تجده في تذكرك ايامنا السالفة ينقلب عندي الى آلام مبرّحة فاخلو بنفسي وعيناي مغرورقتان بالدموع اذ تتمثل لي صورة ايامنا السعيدة ونحن لا هيان عن كل شيء سوى الحب

سقياً لمواقف العهد القـديم ! ليتني استطيع ان انساها ! كلما تذكرتها تقوم في نفسي ثورة عواطف تضيع بين الشجن والسرور . فلقد كانت تلك الايام اشبه بحلم هنيء عقبته يقظة محزنة لذلك احاول ان اتناساها فلا استطيـع لان رسمك لا يبرح من

فكري وصوتك الرخيم يرنّ دائماً في اذنيّ . انني مدينة لك بايامي السعيدة يا هنري . ولو كنت الآن واقفاً امامي لأُلقيتُ بنفسي بين ذراعيك واسمعتُك خفوق هذا الفؤاد الذي تنطق كل نبضة من نبضاته بما يكنه لك من الحب الخالد

ربما تحزنك رسالتي هذه يا هنري . ولكن فؤادي مفعم بهموم تضيع معها الابتسامة التي كنت تعهدها في شفتيّ . كيفما التفتّ أرى مشاهد الطبيعة تذكرني بك . لان حبي لك يصورك حاضراً في كل مكان وزمان . وهذا دليل آخر على ان حبنا الطاهر يزيد كلما طال بنا الفراق ولا تؤثر فيه الايام . ولقد كنت استكثر على البشر روميو وجولييت واتصور حبهما من اساطير الاولين الى ان أحببتك فعلمت ان في العالم روميو آخر وجولييت اخرى . وان الحب قد يبلغ من النفس درجة يحملها معها على ارتكاب كل جريمة . وجرائم المحبين حسنات عند الملائكة !

ان الراهبات هنا يسمينني الزنبقة . لان كل فتاة تعطى عند دخولها هذا الدير اسماً جديداً للدلالة على انقطاعها عن العالم وشروعها في حياة جديدة . فهل يعجبك اسمي الجديد يا هنري ؟ أ انت واثق انه سواء أتغير اسمي ام بقي كما هو فان حبي لك ثابت لا يتغير ؟

في هذا الدير « زنابق » كثيرة مثلي داميات القلوب . لعلهن

يجدن في الانقطاع عن العالم بلسماً يشفي جروحهن التي لا تقبل الاندمال . اما انا فلم اجد بعد هذا البلسم . والصلاة الوحيدة التي اركع كل يوم لارفعها الى الله هي ان تعيش سعيداً في هذه الحياة

لو خيرتُ ان أجلس على العرش طول العمر او اكون زوجتك يوماً واحداً ثم اموت لنبذت العرش ولم احفل به لان سعادة يوم واحد معك افضل عندي من ابهة الملك . ولو كان في كرهك اياي سعادة لك لكنت انا ايضاً اتمتع بذلك الكره لان سروري لا يتم الا بسرورك ايها الحبيب

الى الملتقى يا هنري . بودي لو ينفسح لي ان اطيل حديثي معك ولكن . . .

اميليا



## الرسالة الثامنة

من الشاعر سونبرن الى سيبيل اشتن

( علق الشاعر سونبرن بحب فتاة قروية تسمى سيبيل اشتن. قيل انها كانت ذات جمال يندر مثله بين النساء . وكانت في اول الامر تبغض سونبرن بغضة شديدة ولا تطيق مرآه . ولكن مرور الايام حول بغضتها الى حب مبرح اسقمها وكاد يودي بحياتها . وكان اهل سونبرن يمانعون في قرانه بها لانها كانت من اصل وضيع . فسعوا جهدهم وابعدوها عنه . ولكن الحبيبين ظلا يتراسلان نحواً من اربعة اعوام ويتعللان باللقاء . ثم انقطعا عن التراسل لسبب غير معروف . ولعل الزمان شفاهما من داء الحب . او لعلهما يئسا من اللقاء . ولا يعلم ماذا وقع لسيبيل فيما بعد . قيل انها ماتت في اثناء سياحة قامت بها املا بأن تنسى الماضي . وقيل انها تزوجت احد قواد الجيش فلم تقم معه طويلا حتى ماتت . والله اعلم )

.... لا تعلمين كم اترقب ورود البريد بفروغ صبر . كلما قرب ميعاده يخفق فؤادي خشية ان لا يكون حاملاً اليَّ كلمة منك تعزيني في هذه الايام المظلمة . لماذا انت بعيدة يا سيبيل ؟ ولماذا تفصل بيننا فراسخ هذا عددها ؟ ان كان الله يحاول ان يفرّق

بيننا فقد أساء الينا بأن جمع بيننا قبلاً . وان كانت الاقدار تداعبنا فالقلوب ارقُّ من ان تحتمل مداعبات الزمان

سيبيل يا معبودتي . اراكِ من خلال رسالتك الاخيرة حزينة كئيبة النفس . لعلي اسأت اليكِ بكلمة فرطت مني . فهل لك ان تضميها الى سيئآتي العديدة التي قد غفرها لي قلبك الطاهر ؟ كلما قابلتُ نفسي بكِ اراني مجموعة سيآت لا تشفع بها الاَّ حسنة واحدة وهي انني احبكِ حباً يجعلني انظر اليكِ كما ينظر العابد الى معبوده . بل ان حبي لك اسمى من العبادة يا سيبيل . لان العبادة تخرج من الشفتين . واما الحب فمن القلب

غداً تنطوي صفحة اخرى من صفحات العمر . غداً يتم لي خمسة وعشرون ربيعاً من حياةٍ لولاكِ لكانت خمسة وعشرين شتاء مظلماً . ولكنني منذ احببتكِ صرت ارى للحياة معنى جديداً. واذا كان اهلي يعدُّون عليّ هذا الحب هفوة من هفوات الشباب فسلام الله على هفواتٍ كلها حسنات . وحبذا غرور انتِ مبعثه ايتها الساحرة المعبودة !

خمسة وعشرون ربيعاً يا سيبيل . بل ثلاثة وعشرون شتاء وربيعان . فلقد مرّ على حبنا عامان كنّا في خلالهما عائشين في احلام هنيئة . ولسوف يأتي يومٌ يرى فيه العالم ان حبنا الذي يزعمونه هفوةً من هفوات الشباب انما هو السبيل الوحيد الى السعادة

الخالدة . وما اطمع المحبين بتلك السعادة فانهم يرون الخلود قصير المدى لايكفيهم للتمتع باحلام الغرام

هل تذكرين ايامنا في « وندرمير » بقرب تلك البحيرة الهادئة ؟ سلام الله على تلك الايام يا سيبيل . ان من التذكارات ما ينبض له الفؤاد طرباً ويطفر له الدمع سروراً . لقد كانت اقامتنا بقرب تلك البحيرة اشبه بحلم في اشراق النهار ما لبثنا ان استيقظنا منه فصاح بنا داعي الفراق . اذا فسح الله في ايامنا فسنحج الى « وندرمير » ونجلس على شواطئها الهادئة . لانهُ اذا كان للبوذي نهره والمسلم مكّته ولليهودي اورشليمه . فلماذا لا تكون تلك البحيرة كعبتنا المقدسة نزورها من آن الى آن ونتمم عندها فروض الغرام ؟

دعيت البارحة للذهاب الى . . . فأبيت محتجاً باعذار باطلة . ولكن اختي علمت السبب . وادركت ان رؤية ذلك الغدير وحدها كافية ان تعيد اليَّ التذكارات الماضية وتثير في نفسي عواطف اولى بها ان تظل دفينة في الفؤاد . مسكينة اختي ! . . . . هي تظن ان الغدير وحده يذكرني بكِ في هذه الحياة . وفاتها ان خيالك مالئٌ كل فكري وانني اتصوركِ حاضرةً في كل مكان فلا تشرق الشمس الا واتذكر محياكِ الجميل . ولا تزقزق الطيور الا واخالني منصتاً الى صوتك الرخيم . ولا اشاهد الازهار الا

واتصوّرني انشق عبيركِ الفيّاح . نعم انك تمثلين لي بجميع مشاهد الطبيعة . لان رسمك مالئ فكري وشبحك مالئ الفضاء

عفواً ياسيبيل ! ان كان حبي ينشىء لك آلاماً فانني اسعى منذ الآن لاطفاء جذوته المحرقة . وان كنت ترين السعادة لاتتفق مع حبك لي فلماذا لا تنزعينه من قلبك وتستريحين من آلامه . وامامك مجال الشباب الواسع كلما قطعتِ منه مرحلة نسيتِ مواقف العهد القديم . لا تظني انني اشقى اذا رأيتكِ سعيدة مع غيري يا سيبيل . اليست سعادتي مستمدة منك ؟ فكيف اشقى متى رأيتك تبتسمين ابتسامة السرور ؟ وكيف احزن اذا رأيتك متمتعة باحلام لا يجوز لغيرك ان يتمتع بها في هذا العالم ؟ وان كان يعوزك موتي لاكمال سعادتك فها روحي بين يديكِ . ضعي لها حدًّا فأموت شبعاناً سعادة عند موطىء قدميك . ولكن ... حسن ان يحب الانسان . واحسن من ذلك ان يكون محبوباً

ما أقصر الايام التي نعمنا بها يا سيبيل ! وما اطول فسحة هذا الفراق ... ! تلك ايام مرّت بنا مرّ السحاب . وهذه ايام تمشي بنا متثاقلة الى القبر غير عابئة بما تطيل من آلام وعذابات . فلا تنطوي منها دقيقة والا وتنطوي معها انفاس . والابدية محبة لذاتها تضم الى سفرها من اعمارنا ايام السعادة وتبقي لنا ايام الشقاء .

ولولا شعاع امل ضئيل يخترق حجب الظلام لكانت الحياة اعظم نقمة ينتقم بها الله من خليقة يديه

لا يا سيبيل ! بل الحياة كلها سعادة وهناء لانك فيها . ولولاك لكان العالم في نظري فراغاً وكل ما فيه الغازاً واوهاماً . وكثيراً ما اتساءل : لماذا لا يكون العالم كله سعيداً لوجودك فيه ؟ ثم اثوب الى نفسي واقول : بل يجب ان تكوني لي وحدي لا للعالم اجمع . لاننا اذا كنا سعيدين فما الذي يهمنا سعدَ العالم او شقي . عمّر الكون او خرب . ثبتت الكائنات او زلزلت ؟

لماذا تطلبين اليّ يا سيبيل ان احرق رسائلك ؟ أإنجيل الغرام المنزل تجعل آياته اكلاً للنار ؟ استغفر الله ايتها القاسية . ان رسائلك تبقى الى الابد في مأمن من عيون الرقباء . فليهدأ روعك وليطمئن بالك . واسلمي لمن لاينساك مدى العمر

سوينبرن



## الرسالة التاسعة

### من دوروثي اوسبرن الى السر وليم تمبل

( السر وليم تمبل من اشهر رجال السياسة الانكليز . نبغ في اواخر القرن السابع عشر وتقلب في عدة مناصب سامية . وكان في صباه قد علق بحب فتاة تدعى دوروثي اوسبرن وهي من اسرة شريفة . وبعد ان قاسى الحبيبان من اهلهما العناء تزوجا واعتزل السر وليم الى موضع يعرف بحدائق « شينومور » بضواحي لندن حيث قضى بقية حياته مع زوجته . وقد طبعت رسائلهما منذ بضع سنوات في انكلترا فكان لها وقع عظيم . والرسالة الآتية مأخوذة منها )

في رسالتك الاخيرة عبارةٌ اضحكتني وادهشتني معاً . قلت انك لم تكتب اليّ في الاسبوع الفائت لانه لم يكن لديك اخبار تستحق الاهتمام . فهل فاتك ان الخبر الوحيد الذي يهمني هو ان تقول لي انك لا تزال تحبني ؟ اليس مثل هذا القول اطرب الاقوال اليك واوقعها في مسامعك ؟ وما الذي يهمنا من سقوط العروش واندثار الممالك ما دمنا ثمالين بخمرة الحب متمتعين باحلام الغرام ؟

تسألني هل أحب السكنى في الشرق . وقد قلت لك مراراً ان العالم كله اضيق من ان يسعني اذا لم يكن لي موضع في قلبك . وما زلت مقيمة به فلا يهمني أين أسند رأسي . سواء في صحاري افريقيا او مجاهل سيبيريا او احراج الهند . وما دمنا معاً فالعالم كله فردوس زاهر وايام الحياة كلها ربيع مستمر

لعلك نسيت وقفتنا الاخيرة في مثل هذا اليوم من السنة الماضية وكنتُ قد علمت يومئذٍ بأن اهلك يمانعون في قراننا . فقلت لك ان حبنا اما ان يكون عقاباً على سيئة اقترفناها او جزاء لحسنة اتيناها . اما سيئاتي فكثيرة واما الحسنات فلا اعرف لنفسي واحدة منها

تلومني لانني لا انفك ملازمةً لغرفتي . أو ليست سعادتي العظمى ان اعتزل عن الجميع واخلو بنفسي لكي اتمتع بمناجاتك عن بعد واعلل نفسي باحلام الغرام ؟ واذا كانت هذه سعادتي فلماذا تحاول ان تنزعها مني وتطلب اليّ ان افعل ما يشغلني عن مناجاتك ايها الحبيب ؟

انني اتمنى ان اراك سعيداً يا وليم سواء أقدّر لي ان اكون زوجتك ام لم يقدّر . لان سعادتي مستمدة منك كما يستمد القمر نوره من نور الشمس . فاذا كنت انت سعيداً كنت انا ايضاً سعيدة . لذلك انا احبك ايها الملاك الحارس . احبك ايها المعبود

الكريم . بل ان حبي لك هو العبادة بعينها لانني لا اشعر بفرح الا وانت ينبوعه . ولا اعرف سعادة الا وانت مصدرها . وكلما تصورت نفسي منحية على صدرك أنتفض كأن مجرى كهربائياً يتخلل احشائي فتسرع نبضات قلبي واكاد اركع امام خيالك كما يركع العابد امام معبوده . ولا اخال السماء تحسبها لي زلة ان اركع امام احد ملائكتها . وما كان الله ليخلقك كاملاً لو لم يكن غفوراً يتجاوز عن فتاة مثلي تنساه قليلاً لكي تعبدك

لست اخشى العثرات التي في سبيلنا يا وليم ما دام قلبك مخلصاً لي ولا اعلم قوةً بشرية تستطيع التفريق بيننا اذا كنا مخلصين في الحب . اما انا فانني اشعر بعزم يثبت امام الانواء ولا تؤثر فيه العواصف . وكلما نظرت الى صورتك اشعر بقوة كالقوة التي يستمدها البوذي من صنمه المقدس

الايام طويلة مملة . كلما غابت الشمس انفس الصعداء واقول لقد انطوت صفحة اخرى من سفر هذا الفراق فلننتظر ما يأتي به الغد . ولكن الغد ممل طويل كاليوم والحياة كلها فراغ لا يملأه الا انت . وجمال الطبيعة انما يزيد في ثورة عواطفي لانني اشتاق ان اراك يا وليم . اشتاق ان اراك لنتمتع كلانا بربيع الحياة . اشتاق ان اراك لأرى ماذا فعل الزمان بفؤادي الذي ائتمنتك عليه . فان

كان الله قد قدر لنا العـذاب في الحب فما اعذبه في النفس وما احلاه في الفؤاد — الفؤاد الرازح تحت ثقل الهموم

يقولون ان الزمان هو الطبيب الشافي من داء الحب . ولقد مرّ على حبنا ثلاثة اعوام نما في خلالها وتأصل . واهلك يزعمون ان طول الفراق ينسيك غرامك القديم . ولقد فاتهم ان من الحب ما يزيده الفراق قوةً . وان الزمان ان القى بيننـا حجاباً فالى اجل محدود لا يجاوز القبر . واما بعد القبر . . .

رحم الله ايامنا في رشموند . كم دفنا فيها امانيّ غرام ! اذا فسح الله في اجلي فسأحج الى تلك الصفصافة التي كنا نجاس تحتها عند الامساء . ترى الى اين تمتد بنا فسحة الفراق ؟ أإلى القبر ؟ لا بأس — بشرط ان تفتح الابدية احضانها وتضمنا معاً . هنالك ينقطع كل صوت وتبطل كل حركة — هنالك لا تسمع الا حفيف الاجنحة وهمس الملائكة — هنالك لا سعادة الا سعادة الحب ولا نشيد الا نشيد الحب ولا خلود الا لمن يعرف الحب

هب انهم منعوني من ان اكون زوجة لك في هذه الحياة . فهل ينالنا اذاهم وراء القبر ؟ وهل تنتقل المظالم التي تجري تحت الشمس الى ظلمـة الابدية فتزيد في كثافتها وتقضي على آمالنا ؟ كلا يا وليم . ان الآلهـة ارحم من ان تقسى الى هذا الحد . فاذا أخفقت آمالنا في هذه الحياة فامامنا مجال الابدية اللانهاية لها حيث

نخلع اثوابنا الفانيـة ونحلق في فضائها الرحيب فنشاهد من علونا الشاهق ما يجري على هذه الارض من الشرور الفظيعة . وأي شرّ أفظع من ان يقف الانسان بين نفسـين متحابتين ليس لهما ذنب سوى ان الله اوجد في قلبيهما ميلاً متبادلاً وهو ما يسمونه الحب

اود ان اطيل رسائلي اليك . لو استطعت لجعلت اليوم خمساً وعشرين ساعة وانفقته في مناجاتك عن بعد . انني اغار من رسائلي لانها تستطيع الوصول اليك . واما انا فكالطير المقصوص الجناح

حبيبتك حتى الموت

دوروثي



## الرسالة العاشرة

### من فكتور هوغو الى خطيبته اديل فوشه

( فكتور هوغو اشهر من ان يعرف لانه المجلي في حلبة الشعر والانشاء كما تشهد له بذلك مؤلفاته ورواياته التي اظهر بها مساوىء المجتمع العمراني بطريقة لم يسبقه اليها احد . ومن احسن ما نشر من آثاره الادبية بعد موته مجموعة رسائل كتبها الى خطيبته اديل فوشه . وقد اخذنا منها الرسالة الآتية كتبها في ساعة يأس بلغه فيها ان خطيبته ستقترن بغيره اطاعة لرغبة والديها )

في مثل هذه الايام من السنة الماضية كنا نعدُّ الايام الباقية لنا من أمد الفراق . واليوم نعدُّ الايام الباقية لنا من حرية التراسل قبل ان تعتزلي الى بيتك الجديد وتتكافي المعيشة مع الرجل الذي قد اختاره لك والدك . واني عالم انه لايحق لي ان اكاتبك فيما بعد . وانما تشفع بي ذكرى غرامٍ لا تزال في النفس بقية باقية منه. فان كنتُ ادعوكِ الآن رفيقة صباي فلأني لاأزال اطرب لذكرى ايامنا الماضية واحنُّ الى ربوع صبانا كما يحنُّ الفطيم الى احضان امه

تلقيت رسالتك الاخيرة مع بريد هذا الصباح فأحببت ان أجيبك عنها قبل ان تنطوي آخر صفحة من استقلالكِ فلا

يسوغ لك ان تبتسمي لغير زوجك ولا تهتمي بغير مرضاته . وربما كانت هذه آخر رسالة مني اليك . فأذني لي ان اخاطبك باللهجة التي اعتدت مخاطبتك بها قبل الآن . لانك تقولين ان الحب الذي يضم قلبينا سيظل ثابتاً الى الابد . وان إكراه اهلك اياك على الاقتران بغيري لن ينسيك حبنا القديم وعهد غرامنا المنصرم

اراكِ من خلال رسالتك تكتمين عني هموماً ثقيلة الاعباء . فلماذا انت حزينة يا اديل ؟ ولماذا تفسحين للهموم مجالاً في فؤادك المثقل باعباء الغرام ؟ ان كان الغد يروعك فان لك من بعده موقفاً تنسين به مواقف الامس اذ تجدين من حب زوجك ما يلهيك عن ذكرى غرام فاض به قلبك ردحاً من الدهر ثم انطوت صفحته وانطفأت شعلته . وحلَّ محله حب آخر ربما فتحتْ لك السعادة من ورائه احضاناً رحيبة

لعلك تتهمينني بفتور في الحب . ولكن متى عرفت ان رسمكِ لا يبرح من مخيلتي دقيقة واحدة وان قلبي لا يزال يخفق كلما عرض لي ما يذكرني بك . علمت ان اليمين التي اقسمتها لك تحت تلك الصفصافة سأظلّ ارددها حتى آخر نفس من الحياة . فافرحي ولا تحزني لان القلب الذي وقفته على حبك لن ينفسح لغير رسمك الجميل . ومواقف حبنا هذه ارسخ من ان تعبث بها ايدي الزمان سحابة وتنقشع يا اديل . فمتى انقشعت لا تذكرين من ايامنا

هذه اكثر مما يذكر الشيخ من ايام طفولته . لأن واجبات الغد ستنسيك احلام اليوم . وداء الحب المستحكم فيك سيشفيه مرور الزمان . وما الذي يهمك غداً ولكِ من ثغور بنيك ما ينسيك ابتسامة حبيب قديم . ومن محبة زوجك ما يفتح لك ابواب فردوس كنتِ قد اغمضت عينيك عنه قبلا لتتمتعي باحلام زائلة ؟ فافرحي ولا تحزني لانني انا ايضاً افرح متى رأيتك في سعادة وهناء .

أرى الحياة مملة يا اديل . فلا يطربني شيء فيها كما كنتُ اطرب من قبل . لان الآمال التي كنتُ اتعالل بها في الامس قد زالت فصرتُ أرى الحياة أشبه بفصل هزلي « يلعبه » الانسان في العالم ثم يفسح المجال لشقيّ آخر يجيء بعده . فما الذي يحملنا على حبها ولا شيء يخلد فيها سوى الآمال؟ نعم ان الآمال كثيرة متشعبة. وانعشها للنفس ما كان مبعثه القلب ومنشأه الحب . ولكن اي لذة للحياة اذا انطوت صفحة تلك الآمال وحل محلها اليأس وانتقلت النفس من حلم هنيء الى يقظة رائعة ؟

تقولين انك عازمة على الانقطاع عن العالم والالتجاء الى دير تقضين فيه البقية الباقية لك من الحياة . افما يكفيك ان لك من قلبي ديراً ليس فيه سواكِ يا اديل ؟ ألا يكفيك انك تتحوّلين هنالك من عابدة الى معبودة فتسمعين من مزامير الغرام واناشيده ما يفتح لروحك الطاهرة فردوساً تتنعمين فيه ؟ فان خطرت لك

فيه العبادة فهنالك تجدينها على اسماها وانما هي موجهة اليك عند مذبح الغرام

كنت البارحة في ملهى ... وكانت عيناي شاخصتين كلّ الوقت الى المقصورة التي كنا فيها معاً لآخر مرّة . وكان فيها رجل ضخم الجثة ومعه فتاة حسناء في مقتبل العمر وهما يقهقهان لنكات الممثلين ويصفقان لها طرباً . فقلت في نفسي أهما سعيدان كما كنا في تلك المقصورة منذ اشهر خلت ؟ وهل بلغا من السعادة ما بلغناه منها في عهد غرامنا القصير ؟

ما اطيب قلبك يا أديل ! تطلبين مني مغفرةً وانتِ تعلمين انني لا اعرف لكِ سيئة غير ما اسأت به الى نفسك اذ احببتني حباً مخلصاً كنتِ في غنى عنه . فحرامٌ عليكِ ان تستذنبي نفسك الطاهرة وتنسبي اليها ما هي بريئة منه . وان كانت سيئات البشر كلها من قبيل ما تستذنبين به نفسك فما اقدسها ذنوباً تفتح لمرتكبيها احضان الآلهة وتصل بهم الى نعيم تجري من تحته الانهار . أأنتِ تذنبين يا أديل ؟ اذاً من بعدكِ لا يخطىء في العالم ولمن تبقى ابواب السماء مفتوحة ان هي اوصدت في وجوه الملائكة ؟

لي حاجةٌ اليكِ يا اديل وهي أن تأذني لي في حفظ صورتكِ التي اهديتها اليّ في عيد ميلادكِ الفائت فانها التعزية الوحيدة

الباقية لي بعد مأساتنا هذه . فان انكرتها عليَّ فايس لي الآ ان اعيدها اليك . ولـكن ثق بأنك سواء استرجعتها مني او لم تسترجعها فان رسمك منقوش في قلبي وان يمحوه مرور الايام او كرور الاعوام

سلام الى حين اللقاء وراء عالمنا الفاني . سلام يحمله اليك النسيم في اليقظة والملائكة في الحلم

فكتور



## الرسالة الحادية عشرة

من مرغريت الى رولاند

( لا يزال رولاند ومرغريت عائشين حتى هذا اليوم . وقد اذنا لجامع هذا الكتاب بهذه الرسالة وكانت مرغريت قد ارسلتها الى رولاند قبل اقترانها بشخص آخر قد مات اليوم . وقد اقتضى المقام حذف بعض الامور من هذه الرسالة ونشرها كما يأتي : )

حبيبي رولاند

امضيت الليلة الفائتة وانا اتقلب على احر من الجمر . لم اكن اعلم قبلاً ان النفس تستطيع ان تعاني ما عانيته من الآلام المبرحة . فقد طال بي الليل حتى ظننت ان ليس له صباح وكنت كيفما اتقلب ارى حولي ظلمة دامسة واشباحاً مزعجة

لست اعلم ماذا اكتب اليك يا رولاند فان قلبي مفعم باحزان تنوء بها راسيات الجبال . ولو كنت قريباً مني لشققت لك هذه الحشاشة وأريتك ما بها من يأس وغرام . ولكن ما عسى ان يهمك يأس فتاة اقصاك عنها الزمان وسدل بينك وبينها حجاباً من النسيان

لا يسوءك كلامي هذا يا رولاند فان اعباء الهموم التي انا رازحة تحتها تكاد تذهب بالبقية الباقية من هذا الفؤاد وتطوي آخر صفحة من الآمال التي كنت اتعلل بها حتى هذا اليوم . ولولا ذكرى ايامنا الماضية وما نعمنا به من احلام الغرام لكانت كل دقيقة من الدقائق التي اعيشها الآن ابدية مخوفة

واحدة وتنقضي يا رولاند . فان كان لك في البعد عني سعادة فاني اطيل عهد الفراق . فانعم بالاً وقر عيناً وانس مواقف عهدنا القديم . لقد يؤلمك ذكر ذلك العهد بقدر ما اجد فيه سعادة وهناء . بل لقد اجد فيه انا ايضاً عذاباً وشقاء . اليس العصفور انعم بالاً لانه لا يذكر امسه ولا يخاف من غده ؟ اليست الآلام التي اعانيها اليوم نتيجة ذكرى الامس ؟

لتدم لك السعادة يا رولاند . انني افرح اذا رأيتك تبتسم وان يكن عن بعد . كلما طال بي الليل اتصورك منبسط الاسرّة باسم الثغر وأوهم نفسي بأنني اسمع صوتك وانصت الى حديثك . هي اماني فتاة احبتك يا رولاند فلا تسخر منها في ظلمتها الدامسة بل تذكر تلك المواقف السالفة وما عقدناه فيها من عهود ووعود

اراك تحاول ان تكتم عني ما بك من الحزن الشديد فانت تبتسم عن بعد ولكن ما بين سطورك يشي بذلك الابتسام . ولو

علمت ما اعانيه من الغم بسبب حزنك لعدت الى ابتسامتك القديمة فلكم كان فيها بلسم لجروح الفؤاد

اهواك يا رولاند . لو استطعت ان اطير اليك لانطرحت على قدميك واسمعتك خفقان هذا الفؤاد الرازح تحت اثقال الهموم . او ما كنت تبتسم لمرغريت وهي راكعة عند قدميك تلتمس منك امراً ربما لا يفسح لها الاجل في التماس غيره وهو ان تنسى تلك الحادثة التي مزقت احشائي قبل احشائك وكادت تقضي على البقية الباقية لي بين الضلوع ؟ فاذكر انني لا ازال احبك حباً هو العبادة بعينها او يجاوزها الى حد الجنون . بل انا احبك كل يوم « اكثر من الامس واقل من الغد »

ان الغد سينسيك الامس يا رولاند فتعود الى ابتسامتك العذبة وترجع الى عهدك القديم . وما الذي يضر الصيف ان تعترضه سحابة ثم تنقشع ؟ اليست الشمس تشرق والطبيعة تبتسم والازهار تملأ الفضاء برائحتها الطيّبة ؟ اليست الملائكة تبتسم للمحبين كما كانت تفعل منذ خلق الله عيوناً تبصر وصدوراً تعي وقلوباً تحب ؟

اتصورني واقفة معك وقد القيت برأسي على صدرك وعيناي تنظران الى عينيك وكلانا ساكت سكوتاً ابلغ من النطق . ترى

هل يأتي يوم يتحقق فيـه هذا الحلم الهنيء فننسى ما نحن فيه الآن من يأس واحزان ؟

علام تطلب مني الصفح يا رولاند ؟ انا لا أدري لك زلة سوى كونك احببتني وانا دونك في كل شيء ما عدا الحب . نعم انني مقصرة عنك في كل شيء ما عدا هذه العاطفة الروحانية فانني افوقك فيها وهي نور لي في ظلمتي الدامسة . بل لقد تحولت فيّ الى عبادة واجبة يا رولاند . فكما « يسكب » المرء نفسه امام خالقه هكذا « اسكب » نفسي امام صورتك وانا راكعـة كما يركع العابد امام معبوده . واذا كان هذا مقدار حبي لك وانت بعيد عني فكيف يكون عند اللقاء ؟

بل انا اخشى ذلك اللقاء يارولاند . اخشى ان انظر الى عينيك فيستولي عليّ السكوت ولا اعلم اذ ذاك ماذا اقول سوى انني احبك حباً تغبطني عليه الملائكة لانني اجد فيه كل سعادة وهناء . حقاً ان الملائكة ليست اسعد حالاً من مرغريت متى كانت تظللها اجنحة الغرام . واذا كان في السماء سعادة كما يقولون فذلك لانها منبع الحب الطاهر وملتقى المحبين

كلما جلست لاكتب اليك شعرت بسعادة لا توصف وهي السعادة الناشئة عن مناجاة نفسين متحابتين لا يستطيع الزمان ان يفصل بينهما . واذا كان لليل حسنة تشفع في سواده فهي انني

اخلو فيه الى مناجاتك واتمتع باحلام اود لو انها تطول . ولكن ما لذة الحلم اذا عقبته يقظة رائعة ؟ اجل يا رولاند . قد تكون للاوهام لذة تفوق لذات الحقائق لان هذه تخضع لها النفس واما الاوهام فتتكيف كما تهوى النفس . لذلك كثيراً ما اغمض عيني في النهار لكي اتمتع بالاوهام التي تخترعها مخيلتي وهذا التمتع يجعل للحياة معنى لا يدركه الا الذين يعرفون لذة الاحلام

ان اقل ما اتمناه لك هو ان تعيش سعيداً يا رولاند . فان كان في حبنا سعادة لك فابشر ان سعادتك خالدة لان حبي لك ثابت على مدى الخلود . واذا كانت الحياة تمتد الى ما وراء الخلود فانعم بسعادتنا من سعادة ابدية . وان يكن عالم الهيولى حائلاً دون اجتماعنا اليوم

اقرئك سلامي الى حين اللقاء يا رولاند . انني مقيمة على عهودك ما دام لي قلب ينبض

مرغريت



## الرسالة الثانية عشرة

### من رولاند الى مرغريت

(اشرنا في صدر الرسالة السابقة الى ماكان بين رولاند ومرغريت من العواطف المتبادلة . وترى في ما يلي احدى رسائل رولاند وهي وان لم تكن رداً على ما مرّ بك من كتاب مرغريت الا انها تمثل عاطفة الحب باسمى مظاهرها . قال الكاتب :)

مرغريت !

لست اعلم كيف ابدأ برسالتي هذه فقد قضيت الاسبوع الفائت وانا على احرّ من الجمر وعانيت من عذاب الوحشة ما تنوء به راسيات الجبال . وكلما عدت الى النفس ادهشتني القوة التي كانت فيّ على غير علم مني والتي لولاها لتطرق اليأس الى هذا الفؤاد

لست اجد لذةً اعظم من التفكير فيك يا مرغريت . اراكِ متحليةً بكل شيء يجعلك فوق مصاف البشر واراني مجرداً من كل شيء ما عدا الحب . فليس لي ما اهديه اليك سوى هذا القلب النابض كلما ذكرتك ايتها المعبودة . واني لاشعر بسعادةٍ لا توصف

كلما خيّل اليّ انك تتنزلين لقبول هذه الهدية التي هي كل ما املكه في هذه الحياة والتي لست اطمع في اقلّ من مثلها

اجل يا مرغريت . انني اطمع بقلبك كله ولا ارضى بأقل من ذلك . فاما ان تهبينيه كله او تصرفيه الى الغير . ولست « أتوسل » اليك ان تحبّيني لان في « التوسل » تسولاً فاذا لم تشعري بانك تحبينني كما احبّك فخير لنا ان نظل متفرقين .

هل تذكرين حديثنا في ذلك الممر الظليل وقولك ان القلب يتحكم بالعقل ؟ انني انكر هذه العقيدة وأومن بأن العقل يجب ان يتحكم بالقلب . ولعل هذا هو سبب عتابك لي بانني ما داعبتك قط كما يداعب الحبيب حبيبته ولا غمرتك بالقبلات كما يفعل العاشقون

ولكن ما قيمة القبلات اذا كانت عواطف الشباب مجردة من رزانة الشيخوخة ؟ واي دوام لحب هو اشبه بشمس الشتاء لا تلبث ان تشرق حتى تحجبها الغيوم ؟ وهل يخلد الحب الا اذا اتفق القلب والعقل على ان ينبض ذلك كلما حلم هذا ؟

لعلكِ لاتجدين فيّ حسنةً واحدة . اما انا فأجد فيك كل الحسنات . بل ان لي حسنةً وهي انني احبك حباً لا تذكر العبادة

في جانبه . وكلما خيّل اليّ ان هذه الحسنة قد تشفع بي لديك ازددت رغبةً في الحياة وتشبثاً باحلام الشباب

ان قلبي طافح بحبك يا مرغريت وليس فيه متسع للمزيد . بل هو يزيد في كل يومٍ وساعةٍ ولا ينقصه الا ان يتحد بك اتحاداً لا يفتّ فيه كرور الاعوام

انك تتمثلين لي في كل ما اراه حولي من ظاهر الطبيعة . فالشمس تستمد ضياءها من عينيك والطيور تتعلم زقزقتها من صوتك والازهار تسترق اريجها من انفاسك والطبيعة كلها نعيم لانك بهجتها الكبرى يا مرغريت

ما اعجز اللسان واضيق اللغة ! انني لا اجد كلاماً يعبر عما يكنه هذا الفؤاد . فتباً للغة وتباً للمنطق وما اتفه اقوال الشعراء . قد يوحي الحب بالشعر ولكنه يسوق العيّ الى اللسان

كثيراً ما أُساءِل نفسي : « ترى ماذا يحل بنا اذا فرّقت بيننا الاقدار ؟ » . قسماً بعينيك يا مرغريت اذا وقع المحذور فالموت والحياة عندي سيّان . نعم قد يعيش الجسد وتبقى الهيولى ولكن الروح التي تتغلغل في الصدر تكون بلا حياة والعالم كله يصبح فراغاً تعجز الآلهة عن ملئه . انما السماء حيث انت يا مرغريت

انك لا تبرحين مخيلتي لحظةً من الزمان فلا افكر في شيء الا وشبحك متمثل لي يملأ كل فراغ . وهل لاريج البنفسجة معنى

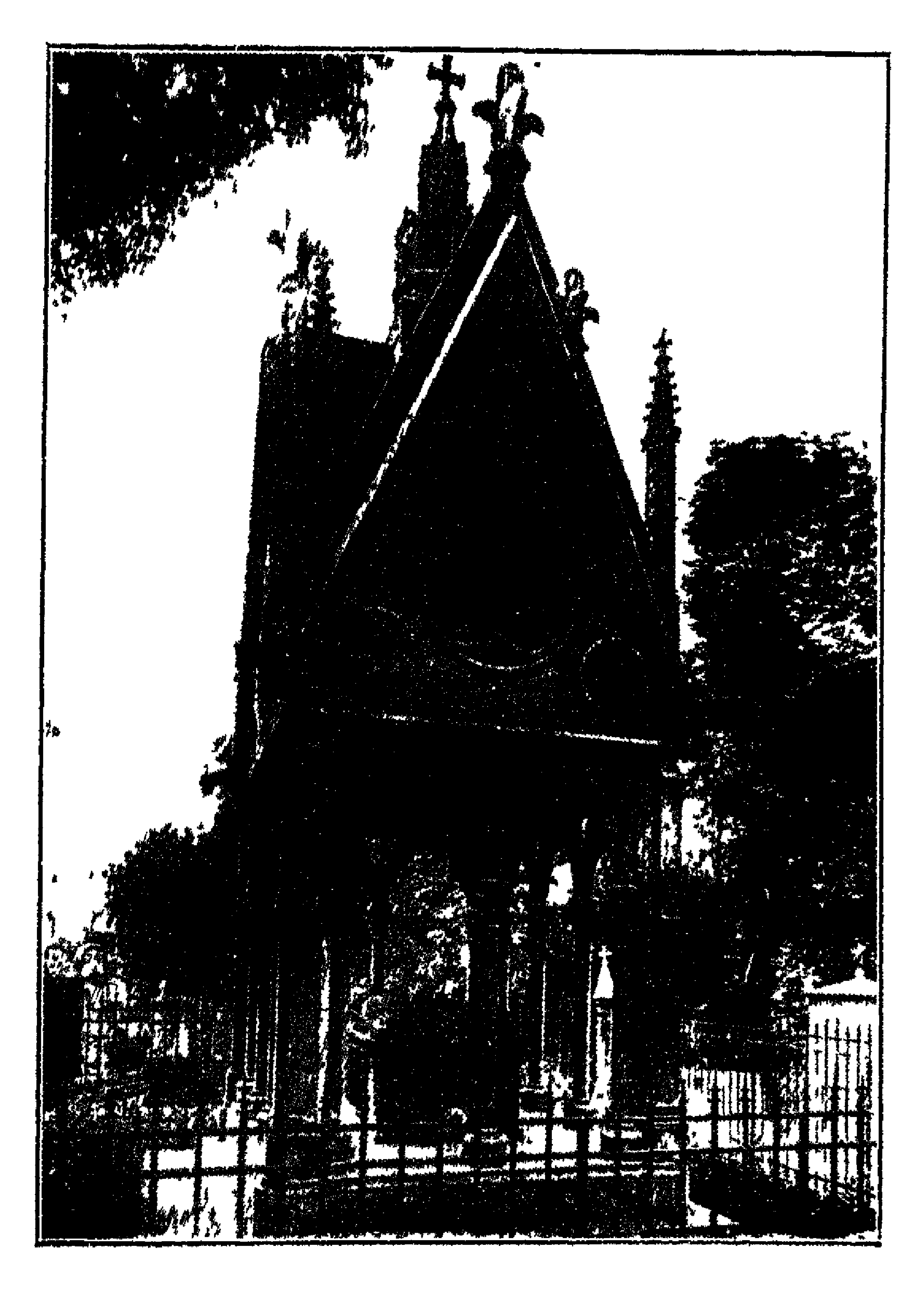
اذا لم تكوني انت اياه ايتها المعبودة ؟ اوليس الخالق بستانياً ماهراً لانه رأى ان يزين العالم بأجمل زهرة من خلائق يديه ؟

ماذا عساني ان اقول ايتها المحبوبة ؟ اذا وجدت رسالتي هذه تافهةً فالذنب ذنب الشعراء الذين عجزوا عن وضع ألفاظ تعبر عما يشعر به هذا الفؤاد . وماذا ترومين مني ان اقول : « احبكِ ؟ » انها عبارة مبتذلة قد استباحتها كل شفة . فضلاً عن ان حبي لك ليس كالحب الذي يتغنى به الشعراء لانه مستمد من الآلهة . وما قلبانا سوى توأمين لا يعيش احدهما بغير الآخر ولا يقوم له كيان

اختم هذه الرسالة على كرهٍ مني اذ بودي ان اقضي كل دقيقة من دقائق الحياة في مناجاتك يا مرغريت ولكن استودعك الى الرسالة القادمة واسلمي لمن انت معنى حياته

دولانو





ضريح أبيلار و ايلويز في مقبرة پير لاشيز

## الرسالة الثالثة عشرة

### من ابيلار الى ايلويز

( نبغ ابيلار في فرنسا في اواخر المئة الحادية عشرة وذاع اسمه بين العلماء قبل ان يبلغ العشرين من عمره . وانشأ حلقة للتدريس في كنيسة نوتردام بباريس فقلب فلسفة العصور المتوسطة ووضع اساس الفلسفة الحديثة . ولما بلغ الثانية والعشرين انشأ في ميلون مدرسة تقاطر اليها الطلاب من كل ناحية . ثم عاد الى باريس فانشأ مدرسة في سان جنفيف واتبعها بمعهد باراكليت المشهور

وفي سنة ١١١٥ عين رئيساً لنوتردام . وكان المطران ( الكانن ) فولبر مشرفاً على ذلك المعبد وله ابنة اخت جميلة تدعى ايلويز عهد الى ابيلار في تهذيبها فاحبها وتزوجها سراً ثم انكشف امرها بولادة ابن لهما فقامت عليهما قيامة الاهل ورجال الدين واقسم فولبر ان ينتقم من ابيلار . فاستأجر لذلك بعض الرعاع فاوقعوا به وشوهوه ثم فرقوا بينه وبين ايلويز فلم يشاهد احدهما الآخر بعد ذلك الا مرة واحدة . واعتزل كل منهما الى دير اقام به حتى الوفاة . ودفنا معاً في مقبرة بير لاشيز بعد ان نقلت عظام ابيلار من مدفنها الاصلي غير مرة . وتعد رسائلهما

من ابلغ ما خطته اقلام المحبين . والرسالة الآتيـة منتقاة من رسائل ايلار وقد جاء فيها ما يأتي : — )

ملاكي الصغير

تلقيت رسالتك الاخيرة وانا على سرير الاوجاع اعاني من الآلام ما يكاد يذهب بالبقية الباقية من جَلَد النفس . ولـكنه عذاب عذب يا ايلويز لانه في سبيل حبنا الطاهر وانا اتحمله بصبرٍ يقوى على نوب الزمان . وكلما عدت الى ذكرى ايامنا السالفة اشعر بقوة تسخر بالآلام وتهزأ بشماتة الشامتين ...

لا تمر بي ساعة الا واركع فيها امام رسمك الجميل واردد نشيد الحب الذي نظمته الآلهة وجعلته على ألسنة العاشقين . وكلما فكرت فيك ارى الحياة صفحةً من احلام السعادة والعالم فردوساً شهياً . وكثيراً ما اجلس امام النافذة وارقب الافق الذي يفصـل بيننا فاتمنى لو تنطوي صفحة هذا الفراق لانني ارى الساعات طويلة والايام مملة . ولكم استنجدت اللسان للتعبير عما في القلب فلم أر من ذلك الا عجزاً ومن هذا الا خفوقاً . والتعزية الوحيـدة التي لي في هذا الفراق هي علمي بأن حبل الحب امتن من ان يفت فيه مرور الاعوام . ولقد يُتاح لكِ وانتِ بعيدةٌ عني ان تري من يفضلني في كل شيء ولـكنك لن تجدي من يفضاني في الحب لان

قلبي يفيض عبادةً لاقنومك الاقدس . فحبك يتغلغل في صدري ويملأ كل زاوية من زواياه . ورسمك الذي لايفارقني هو التمثال الذي اركع امامه . والشجرة التي تفيأنا ظلها آخر مرة هي الكعبة التي احج اليها في كل دقيقة من دقائق الفراغ

هل تذكرين الزهرة التي اقتطفتها عند الوداع واعطيتك اياها وكيف قبّلتها ووضعتها في صدرك ثم عبث بها النسيم ونثر اوراقها فسقطت ولكنها لم تذبل ؟ ألا ان الايام قد تستطيع ان تفرّق بيننا يا ايلويز ولكن زهرة حبنا لن تذبل الى الابد . وكيف ترضى الآلهة ان تذبل زهرة نبتت في القلوب الخافقة وسقتها دموع العاشقين ؟ الا ان الحب هو الغذاء الذي تقتات به ارواح الملائكة في عبر هذا العالم الفاني . ولو لم يكن للآلهة حسنة غير غرسها زهرة الحب لكفى بذلك موجباً لعبادتها

ما اتفه اقوال الشعراء يا ايلويز وما اعجز المنطق عن ايضاح الحب الدفين في هذا الفؤاد . انني اقضي ساعات الليل مستوحياً إلهة الشعر فلا اجد سوى كلمة « الحب » وهي على كثرة ترديدها لايبلي الزمان جدتها ولا تنقص الايام جمالها فهي تتردد في زقزقة العصفورة وحفيف الاجنحة وانين الاوتار وخفقان القلوب . بل هي همس الروح الى الروح ومناجاة النفس للنفس . ولو جُرّد العالم منها لاصبح الكون فراغاً والحياة مملةً

على ان عزائمي تكاد تخور دون هذا الفراق فقد طال بنا مداه واصبحت ارى الدقائق ساعاتٍ والساعات اعواماً لا نهاية لها واذا كان لهذا البعد مغزى فهو بمنزلة تجربة للحب الذي يجري في عروقنا لانه اذا لم يكن يقوى على تصاريف الايام فليس جديراً بأن يربط قلبينا ويتغلغل في اضلاعنا ثم يضرب عزائمنا بمعول القنوط .

سأقضي هذه الليلة وحيداً كما قضيت الليالي التي قبلها وليس لي سمير سوى رسمك الجميل وذكرى ايامنا الماضية . ولست ارى سبيلاً الى اللقاء قبل انقضاء هذا الشتاء وليالي الشتاء طويلة مظلمة . الا ان لكل شيء نهايةً ولا بد ان يأتي الربيع فتنتعش الطبيعة وتنتعش معها آمالنا . ولولا هذه الآمال لكانت ايام الحياة مجموعة آلام واحزان ولكانت الذكرى اعظم جحيم لعذاب النفس . وانني كلما تذكرت ايامنا في تلك الحدائق الغناء اشعر بأنني قد ولدت جديداً في ذلك العهد ويعود القلب الى استنزال وحي الغرام .

لا تقطعي عني رسائلك فانها عزائي الوحيد في وحشتي الدامسة وكلما تلوتها يتمثل لي محياك الجميل ويخيّل اليّ انني اسمع صوتك الرخيم . يا حبذا لو صحت الاحلام ! ان رسائلك في حرز حريز ومتى انتقلت من هذا العالم فسأنقلها معي لتقرأها الملائكة وتبثها

في نفوس العاشقين . او ليس الحب نعمةً من نعم الآلهة تنثرها على قلوب المحبين ؟

انا في انتظار ما يخفف لوعة هذا الفراق فعسى ان اتلقى منكِ في الغد ما ينعش آمال هذا الفؤاد

ابيلار





ايفا شندلر — الكونتس دي كليفورد

## الرسالة الرابعة عشرة

من ايفا شندلر الى اللورد دي كليفورد

( ولدت ايفا شندلر ( الكونتس دي كليفورد ) في سنة ١٨٨٨ وكان والدها على سعة من العيش ومن المغرمين بفن التمثيل . وقد ظهر هذا الميل في ابنته ايفا فانها ما ناهزت ختام العقد الاول من سنيها حتى ظهرت على المسارح واظهرت ذكاء نادراً . وفي سنة ١٩٠٤ بينما كانت تمثل في احد مسارح دبلن رآها اللورد دي كليفورد وهو شاب من أنبل الاسر الانجليزية فعلق بحبها وتعرف بها . ثم قابلها بعد ذلك مراراً ولكنه لم يجسر ان يكاشفها الحب . وبعد ذلك أُمر بالتوجه الى مصر للانضمام الى الجيش الانجليزي . فجاء القاهرة واقام بها عاماً كاملا كان يراسل ايفا في خلاله ويظهر لها الحب الخالص . وفي اوائل سنة ١٩٠٦ عاد الى لندن بغتة وكانت ايفا تمثل في مسرح « الديتش » . وكان ذلك آخر عهدها بالتمثيل اذ اتفقت مع اللورد دي كليفورد على عقد الزواج حالا فتزوجا وكان زواجهما موضوع حديث القوم . ولا يزالان عائشين حتى هذا اليوم وهما على اتم ما يكون من السعادة والهناء لما هما عليه من دماثة الخلق وحسن الخصال . والرسالة الآتية مأخوذة مما كتبته ايفا الى حبيبها وهو في القاهرة )

ايها الحبيب

عدت بالامس الى غرفتي فوجدت رسالتك الاخيرة وقد كتبتها على ما يلوح في اثناء غاشية من الريب التي تستولي عليك في هذه الايام . ولو كنت تعلم ما تحدثه فيَّ امثال هذه الرسالة من الآلام ما خططت منها حرفاً واحداً لان هذا القلب الذي قد أنحله حبك لا يقوى على احتمال المزيد . ولقد ذقت من مضض الفراق ما هو اقطع دليل على شدة حبي لك . فلماذا تضيف الى هذه الآلام جروحاً لا تقبل الاندمال ؟ فاذا كنت تقصد ان تبلو هذا القلب فقد اسأت اليه بتحميلك اياه ما لا طاقة له به على الاطلاق

اجل . ان الحب الذي يتغلغل في هذا الفؤاد ليس عرضاً عابراً بل هو من جوهر الروحانية الازلية وليس للزمن سلطة عليه . فلا مرور الايام يضعفه ولا دسائس الوشاة تتغلب عليه . فلماذا تدع للشكوك مجالاً ولماذا تجبن عن حمل اعباء الغرام ؟ ان اليأس الذي يجد الى قلبك سبيلاً يشوّه جمال الاحلام التي نتعلل بها ويهدم القصور التي نشيدها في الهواء . أولست تعلم انني أطرب لكل ما اراه حولي من ظاهر الطبيعة لان اشعة الحب تنير ظلمة النفوس وتبدد غمائم الاحزان ؟ واذا اكتنفتك سحب الريب

أفلا يكفيك من تذكارات ايامنا الماضية ما يبدد تلك الغيوم ويزيل دجى الاحزان ؟

لقد صرت اخشى رسائلك بعد ان كنت اترقبها بشوق لا مزيد عليه اذ اقرأ بين سطورها دلائل اليأس والشكوك مع انني لا ادع فرصة تمر دون ان اثبت لك ان حبي ثابت لا يمكن ان تؤثر فيه صروف الايام وان غمائم الريب التي تجد سبيلاً الى قلبك لا يمكن ان تدنو مني على الاطلاق لان اشعة الحب تبددها والاماني التي اتعلل بها تشتتها . فلماذا تفسح لها مجالاً في سماء هنائك ايها الحبيب واي برهان تطلبه مني انصع من كوني ارى كل ما في الطبيعة مبهجاً لانك تريني للحياة معنىً غير المعنى الذي الفته قبل ان يجمع الحب بيننا ؟ واذا كان لأحدنا ان يشكو من الم الفراق فلي انا الحق الاكبر في ذلك لانني في عزلةٍ تامةٍ عن العالم وليس لي ما يسليني وينير دجى وحشتي سوى ذكر الماضي والتعلل بالمستقبل . ولست ادع الفرصة تمر دون ان اناجي شبحك في اليقظة او احلم بك في المنام

انك لا تدرك مبلغ حبي لك . ولو ادركته لادهشك تبريح الشوق بي وكيف اصبّر النفس الى ذلك اليوم الذي تتحقق فيه احلامنا ويتم هناؤنا اذ نجتمع اجتماعاً لا فراق بعده ويبث كل منا للآخر آيات الوجد والهيام . وانني كلما حاولت ان اقيس حبي لك

وابين كنهه اراه اشبه باللانهاية وارى الخلود اضيق من ان يحتويه .
واذا كان حبك لي كحبي لك فأي سلطان لاحزان العالم على قلبك
وكيف يجد اليأس سبيلاً اليك ؟

ان حبي لك يجعل للحياة معنىً لا تدركه الا قلوب العاشقين
ويكسو الطبيعة ثوباً لا يبصر جماله الا من كانت باصرته مستنيرة
بذلك الشعاع الازلي . واذا كان الفراق يفصل الآن بيننا فان لنا
من ذكري الزمن الفائت ما يقوينا على احتماله ويزيدنا رسوخاً
في الحب . ولكم ليلة أحييتها ساهرة وليس لي سمير سوى النجوم
المتلألئة ولا بارقة رجاء غير ثقتي بأنك تحبني حباً ثابتاً وعلمي بأن
شعلة الحب مستمدة من ارواح الملائكة فليس للزمن سلطة على
اطفائها اذ ان ما للروح للروح وما للجسد للجسد .

ويخيل اليّ ايها الحبيب ان شقة الفراق ستمتد بنا الى ابعد
من هذا المدى وان ابليس الشكوك سيلقي شباكه حولنا ويحاول
ان ينفخ اليأس في قلوبنا فسنكون في الغد احوج الى الثبات مما
كنا في الامس . واذا لم اجد منك عوناً على هذا الثبات فانك
تقضي على البقية الباقية لنا من الآمال . وليس الحب من الهنات
الهينات بل هو يستلزم الصبر والاحتمال فان الايام قد تضعف عزائم
المحبين وتطوي صفحة آمالهم

اما انا فاني آنس من نفسي القوة على الثبات لان حبي لك

اقوى من الجبال وارق من الهواء واعذب من السلسبيل . بل ان حبي لك يصورك في نظري معبوداً فوق مستوى البشر. فان يكن في هذا القول إلحـاد فياحبذا الالحاد لان جرائم المحبين مغتفرة عند الآلهة

فانبذ شكوكك أيها الحبيب وثق بأن الذي اعانيه في سبيل حبنا لهو اقوى دليل على انني مقيمة على عهودك حتى ننتقل من هذا العالم الى ضفاف الخلود

حبيبتك حتى الموت

ايفا





( ماري بري )

## الرسالة الخامسة عشرة

( من الارل هوراس والپول الى ماري بري )

(كان اللورد هوراس والپول اديباً سياسياً من اسرة عريقة في الجاه والثروة . قيل انه كان اصغر اولاد اللورد اورفورد وقيل ان الريب كانت تحوم حول ولادته . وكان جوّالة طاف بمعظم بلدان اوربا ثم عاد الى لنــدن للاشتغال بالسياسة واحب فتاة تدعى ماري بري واوصى لها ولاختها بثروة طائلة . قيل انه عهد لابيها بطبع مؤلفاته بعد موته . وكانت وفاته في سـنة ١٧٨٧ . وقد كتب الرسالة الآتيــة الى حبيبتــه ماري من مدينة رومة )

حبيبتي ماري

كلما مرَّ يوم جديد اشعر بثقل وطأة الفراق وارجو من الله ان يقصر مداه. واني لآنس من نفسي في هذه الليلة ميلاً الى الوحدة لاخلو برسمكِ الجميل واناجيكِ عن بعد. وقد قضيت اليوم كله وانا اعيد تلاوة رسائلكِ الماضية حتى لقد كادت صحائفها تبلى من كثرة ما اقلّبها. ولست ارتاب في ان ما اشعر به من الحب لكِ هو مثل ما تشعرين به من الحبّ لي لان قلوب العاشقين اشبه بأوتار قيثارةٍ اذا هبّت عليها نسمة رددت كلها دوياً متناسقاً. واذكر انني عثرت في ما قرأته من اساطير الاولين على قصةٍ مجملها ان « هيلاس » ذات القيثارة الذهبية كانت تصنع اوتارها من اعصاب قلوب العاشقين وان اناشيدها كانت مستمدةً من وحي « ادونيس »[1]. فاذا كانت الآلهة وهي فوق مستوى البشر تطرب لاناشيد الحب فكيف لا تتبعهم قلوب العاشقين من الانام ؟

ولكم اقضي الساعات الطويلة في مناجاة رسمكِ الجميل وانا في شبه سكرة من رحيق تذكاراتنا الماضية فلا اصحو الا والظلام مخيم

---

(١) هو معشوق الزُهَرَة في اساطير الاقدمين ( الناشر )

ولا انتبه لان النور الذي في القلب يشغلني عن الظلام و يبعث في النفس شعاعاً ينير دجى الكائنات

تطلبين مني ان اصف مبلغ حبي لكِ وفاتكِ انكِ تطلبين المستحيل لان حبي لا يشغل حيزاً معيناً بل هو متغلغل في كل ذرةٍ من ذرات هذا الفؤاد . بل هو الاثير الذي يملأ كل فراغ في الوجود ومن صفاته انه ليس عرضة للتحول ولا هو قابل للفناء . لان الفناء انما يتناول المادة واما الحب فجوهر ازلي .

بل ان الحب هو فناء النفس في النفس . فكما ان المخلوق يفنى في ذات الخالق كذلك نفس الحبيب تفنى في محبوبها . وكما ان الفراشة تحوم حول السراج حتى تحترق كذلك المحب يحوم حول محبوبه الى ان يكوى بناره

تسألينني هل ذبلت الشقائق الحمراء التي اهديتها اليّ يوم الفراق . نعم لقد ذبلت ولكن زهرة حبنا لن تذبل الى الابد . هل بدا لكِ ان تسألي لماذا يرمزون الى الحب بزهرةٍ حمراء ؟ انني لم اكن اعلم السبب قبل ان احببتكِ وابصرت احمرار خديك الورديين . ولقد كانت عذارى « الزُهَرَة » يخرجن في يوم معين من كل عام الى ضفة احد الانهر ويندبن « ادونيس » حتى يتحول ماء النهر الى دمٍ احمر من فرط بكائهن وتتلوث الازهار بلونه القاني ومنذ ذلك اليوم اصبح هذا اللون رمزاً الى الحب . فلا زرقة الجو

ولا خضرة الحقول ولا صفرة الشمس تثير في النفس ما تثيره شقائق النعمان التي اهديتها اليّ والتي لاازال احفظها تذكاراً مقدساً

بودي ان أفني الاوراق في الكتابة اليك ايتها المحبوبة . اذ لست اجد وانا بعيد عنك لذةً اعظم من التفكير فيك والتمتع بمناجاة شبحك المحبوب . واني لاشعر اذا ما انقطعت عن الكتابة اليكِ بيأس عظيم لما انا فيه من وحشة هذا الفراق ولا تنقشع سحابة اليأس الا بترديد اسمك المحبوب والتمتع بمناجاتك عن بعد . لذلك اود ان اطيل الحديث – وحديث الحب اطول من الابدية – واعلم انك لا تملّين رسائلي وان طالت اذ لاسآمة في الحب ولا ملل في حديث العاشقين

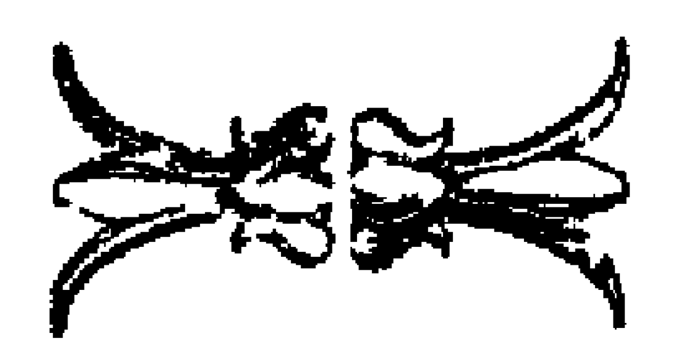
ولكن ماذا عسى ان اكتب ؟ انتِ ادرى بكل ما في جوانحي وما يتغلغل في احشائي من عاطفة الغرام .أفأبدي وأعيد ذلك الحديث الخالد ؟ ألستِ مشتاقةً الى سماع شيء جديد ؟ بل ان عندي شيئاً جديداً وهو انني احبكِ اليوم اقلّ مما سأحبكِ غداً . فهل يغضبكِ كلامي هذا ؟ اتخيلك تبتسمين . اجل . كلما خيّل اليّ ان حبي قد بلغ منتهاه أراه في الغد أكمل واشد . فواسفاه على الامس لان حبي فيه لم يكن قد بلغ الكمال . ومرحباً بالغد لان الحب فيه ابلغ واتمّ .

سأختم رسائتي هذه غداً . عسى ان يستعيد القلم نشاطه . اما نشاط القلب فباق الى الابد

**هوراس**



الكونتس دو باري



## الرسالة السادسة عشرة

( من الكونتس دو باري الى الدوق ديجويون )

( ولدت ماري جان بيكو — الكونتس دوباري — في سنة ١٧٤٦ من اسرة فقيرة وتلقت مبادىء العلوم في احد الاديرة . ولما بلغت السادسة عشرة من سنيها دخلت في خدمة احد باعة القبعات ( البرانيط ) ولكنها ما عتمت ان هجرته وتبذّلت حتى لقيها الكونت جان دو باري فبهره حسنها واتفق معها على ان يجعل منزله ندوةً للميسر وان تتردد هي عليه اجتلاباً للقوم . وما هي الا بضعة ايام حتى اشتهر امرها وذاع صيتها . ورأى الكونت ان يوصلها الى قصر الملك ويستخدمها لقضاء مآربه . ولم يكن ذلك بالامر الميسور لان صاحبة الترجمة كانت من اصل وضيع وقصور الملوك انما هي مفتوحة لاهل الجاه والثروة . فتم الاتفاق على ان يتزوجها اخو الكونت زواجاً وهمياً لتنال لقب « كونتس » فيؤذن لها في دخول القصر . ولم تنقض ايام حتى اصبحت حظية لويس الخامس عشر وصارت الآمر الناهي في ملكه . ولم يكن احد يجسر على مقاومتها لان الملك كان آلة بيديها تتلاعب به كما تشاء . اما عشيقها الحقيقي فكان الدوق ديجويون من المقربين . وكان هو وعشيقته يحكمان فرنسا كما يشاءآن . وبالغ الملك في اكرامها فشاد

لها في « لوسيان » قصراً باذخاً كانت تتردد اليه مع عشيقها كلما سنحت لها الفرصة . وظلت على اعظم ما يكون من السؤدد الى ان توفي الملك فزالت سلطتها واقصاها خلفه عن القصر ثم امر بسجنها في احد الاديرة ولكن الملكة تشفعت بها اليه فأذن لها في العودة الى « لوسيان » حيث زارها رهط من الكبراء والعظماء بينهم بنيامين فرنكلن والامبراطور جوزيف الثاني وغيرهما . ولما نشبت الثورة الفرنسوية هربت الى انجلترا واحتاجت الى المال فأخذت ترهن حلاها . ثم عادت الى فرنسا فقبض عليها وحوكمت بتهمة نهب المملكة . وفي سنة ١٧٩٣ حكم عليها بالموت ونفذ فيها الحكم بعد بضع ساعات . فانطوت بموتها صفحة من تاريخ التبذّل والخلاعة . والرسالة الآتية مقتطفة مما كتبته الى عشيقها في إبان سؤددها . قالت : )

ايها المحبوب

مهما تكن البواعث التي حملتك على كتابة رسالتك الاخيرة فلست اعذرك على ما اظهرته فيها من دلائل الغيرة المفرطة لانك تعلم ان ما ابديه لمزاحمك من دلائل الحب انما هو من ضروب الرثاء الذي لامندوحة لنا عنه اذا اردنا الاحتفاظ بما نحن عليه من السؤدد في هذا القصر . وقد كنت اعتقد انك تعلم تمام العلم بما يكنه لك فؤادي من الحب الخالص ولكن رسالتك الاخيرة ألقت

في نفسي ريبة لا يزيلها الا اعتذارك عما فرط منك . ولست ادري كيف تجيز لنفسك الرِّيبة في ما يكنه لك القلب من الحب الخالص مع علمك بانني اعرض نفسي كل يوم لغضب هذا « المجنون »[1]، ولغلاظة اهل القصر . ولو كان الحظ يتيح لنا ان نعتزل العالم الى اي بقعــة من مجاهل الارض لـكان في ذلك منتهى ما اعلل به نفسي من السعادة والهناء . اما وحولنا نطاق من الرقباء فليس لنا الا الاستسلام الى الاقدار وترقب الفرص السانحة . ومتى تمكنا من الاقامة « بلوسيان » فسنكون انعم بالاً وابعد عن عيون الرقباء.

ولا اخفي عليك ان ما كتبته في رسالتك الاخيرة قد اثار في نفسي عوامل الريبة وكاد يقضي على ما اعلل به نفسي من الآمال . والظاهر ان القصور التي كنا نشيدها في الهواء ستنهدم قبل ان نستيقظ من حلمنا لغير علةٍ سوى فرط غيرتك وعنادك . ولقد افرغت ما في النفس من الجهد لردك الى سبيل الحكمة فلم تزدد الا غيرةً وعناداً . واذا كانت الغيرة على زعمك مقياساً للحب فلماذا لا يكون الصبر ايضاً كذلك ؟ ولماذا تعذبني بما تبديه من الشكوك وانت تعلم ان هذا الفؤاد الرازح تحت اثقال الغرام اضعف من ان يحتمل ما تكلفه حمله ؟

---

(١) تعني الملك ( الناشر )

ان نفسي تتوق اليوم الى العزلة وتود لو تستطيع الفرار الى حيث تستريح من عناء هذه الولائم المتوالية . ولقد سئمت عيشة الترف وصرت احن الى عيشة القرى الهادئة ولا سيما « لوسيان » التي قضيت فيها ردحاً من اهناء ايام الحياة . وانا اشعر بالكلال الآخذ مني كل مأخذ حتى ان صديقك الطبيب نصح لي بالامس بأن التزم الراحة مدةً من الزمن لان جسمي لا يقوى على احتمال هذه المعيشة المضنية . ولكن أنّى السبيل الى ذلك « وصاحبنا » على ما تعلم لا يقوى على فراقي لحظة ولا يأذن لي في الغياب عنه ؟ وانك لتعلم هذا حقّ العلم ومع ذلك تزيد في تعاستي بما تكيله لي جزافاً من العتب والملام

لقد صرت اكره الحياة وما اتمتع به هنا من المآدب والولائم . ولو كنت تعلم كم اتمنى الفرار من هذه القيود الثقيلة لعدلت عن الشكوى وادركت انني انما اصبو الى شيء واحد وهو ان اعيش معك في خلوة بعيدين عن الانظار . وهذا لا يتم لنا الا بالفرار من هذه المدينة البغيّ — مزبلة العالم اجمع . اما ما تقترحه من هجر القصر والاختفاء في باريس فليس في شيء من الحكمة اذ نكون بذلك اشبه بالنعامة تحجب وجهها في الارض فتظن انها قد اختفت عن الانظار

والذي اخشاه ان تفضي لجاجتك الى افتضاح امرنا لدى

« صاحبنا » فتكون العقبى وبالاً وتكون قد اسأت اليّ والى نفسك . وإن إلجام العواطف عما فيه المهلكة لدليل على الحكمة واحسن ما تتفاءل به النفس . واذا صدق ظني فان ما بقي من العمر « لصاحبنا » ليس بالكثير لان هذه العيشة المضنية لا تبقي على جبل والاسترسال في حياة القصف واللهو من اصدق وسائل الانتحار . فاكبح نفسك عن الاسترسال مع العواطف . واحذر اللجاجة وثق بأن حبي لك ثابت لا تضعفه الايام . واحذر الغيرة لئلا تقضي على آمالنا واعلم انني اذا كنت اتكاف اظهار الحب للملك فلكي ابعد عنك كل شبهة واحرسك من كل مظنة . واقبل مني في الختام الف قبلة ودمت لحبيبتك

ماري



## الرسالة السابعة عشرة

( من شوليت الى الملك سليمان )

( ليس في الرسالة الآتيـة ما يرجع الى سندٍ تاريخي . والارجح ان الكاتب لم يقصد سوى الفكاهة أو تبيان الاسلوب الذي جرى عليه اهل ذلك الزمن . ولسليمان الملك مقام لا يخفى على أحد من أهل الاديان للوحدة . والمعروف عنه انه مع ما كان عليه من الجاه والحكمة لم ينجُ من الزلل . فاتخذ لنفسه ما لا يحصي من الزوجات والحظايا وأفرط في التمتع بلذاته حتى أربى عدد النساء اللواتي دخلن مقاصيره على بضع مئين [١] بينهنّ اليهوديات والعربيات والوثنيات . وحكاية ما جرى له مع ملكة سبا اشهر من أن تذكر . وقد بنى عليها بعض الرواة قصصاً لا موضع لذكرها . ومن الاسفار التي تعزى الى سليمان ديوان غزلٍ يدعى « نشـيد الانشاد » وهو من طليّ الشعر ورقيقه وقد ذهب بعض المفسرين الى انه تغزل بامور روحانية لا علاقة لها بما ينم عنه ظاهر الكلام . فهو والحالة هذه اشبه

---

(١) وفي رواية انه بلغ الالف

بشعر ابن الفارض الصوفي والفرق بينهما انما هو في العرض لا في الاسلوب

وقد اختلف المؤرخون في تعيين زمن سليمان . والمتفق عليه انه ظهر في المئة العاشرة قبل التاريخ الميلادي وانه الابن الرابع أو الخامس (١) لامرأة تدعى بتشبع تسبب داود في قتل زوجها ليتخذها زوجةً له . ولا يعلم الزمن الذي تبوأ فيه سليمان العرش ومعظم التقاليد على انه كان في الثانيــة عشرة أو الثالثة عشرة . وكان على أعظم ما يكون من الحكمة والجمال حتى شاع صيته في الاقطار فاقبل عليه الملوك والامراء واكثروا له من التحف والهدايا الثمينة وخطبوا وده . وصاهر فرعون ملك مصر وحالف الاقيال . الا انه استباح حرمة الديانة اليهودية بما ادخله عليها من الشعائر الوثنية لان زوجاته الوثنيات أغرينه بذلك

وفي أيام حكمه انتشر السلام على ملكه فانصرف الى تشييد هيكله المشهور . وكان أبوه داود قد جمع له العــدة . وكان هذا الهيكل آيةً في المجد والجلال . ولم يضن سليمان بمال في سبيل انقانه حتى جاء اعجوبةً في فن الهندسة ورمزاً الى المجد والسؤدد

---

(١) وفي بعض ارويات انه الابن الناني

أما شولميت صاحبة الرسالة التي نحن بصددها فقد ورد ذكرها في ديوان نشيد الانشاد الذي أشرنا اليه . ولا يبعد أن تكون من جملة حظايا سليمان أو النساء اللواتي شغف بهنّ . ويزعم قوم ان حكايتها خيالية وان اسمها رمز الى سراري سليمان والذي نراه انه مهما حاول المفسرون أن يتفننوا في تأويل نشيد الانشاد أو ارجاعه الى أسلوب الصوفية فان المعروف عن سليمان من شدة الميل الى النساء يحملنا على الاعتقاد ان ديوانه المذكور لا يخرج عن حد الغزل باسلوب يتفق مع ذوق اهل ذلك الزمن ويلائم ميلهم

وهاك رسالة شولميت . قالت : )

من شولميت الجميلة بين النساء

ليقبّلني سيدي الملك لان حبه اطيب من الخمر وقبلاته اشهى من العسل . إن اكن سمراء فلأن الشمس قد لوّحتني وبني امي غضبوا عليّ فجعلوني ناطورة الكروم . ليتك ترشدني الى مقرّك فاسعى اليك وأرعى جداءك . ليس للناردين عبير اذا لم تكن لي . قد أصبحتُ بين العذارى كالسوسنة المهجورة في الاودية وكالنرجسة بقرب جداول المياه . بالامس ذهبت الى اشجار الوعر لاتفيأ ظلالها فعرتني عيبوبة لم أستيقظ منها الا وقد دنا مني الرعاة . تصورتك في

غيبوبتي آتياً اليّ قافزاً على التلال . خيّل اليّ انك تقول لي :
« تعالي لنتفيأ شجر التفاح » . ثم رأيتني اطوف بأسواق المدينـة
ليلاً فما وجدت من تحبه نفسي . ورأيت الحرس الجائل فسألتهم
عنك فقالوا انك في خيـام جلعاد وحولك العذارى يجمعن لك
السوسن ويرقصن امامك على نغمات الاوتار . ثم استيقظت
فأبصرت حولي حفظة الاسوار وقد جاؤوا ليبحثوا عني . فولّيت
وجهي شطر الخمائل لاقطف لك النرجس والسوسن ولـكن الشمس
كانت قد لفحت الزهر فلم أمد يدي اليه

ألا ليتك أخ لي فاقبّلك امام العذارى وأدخل بك بيت امي
حيث نتساقى الخمر الممزوجة بسلاف الحب والقي راسي على صدرك
فتطوّقني بذراعيك وتعيد على مسمعي الاناشيد التي كان ابوك
يوقعها على ذوات الاوتار في « ساليم » و « قيـدار » . الست
تشتاق الى خمائل التفاح حيث روّعتني مرةً اذ قلت لي ان امك
قد خطبت لك عذراء من جميلات اسرائيل ولـكن حبي قد ختم
على قلبك فليس بين بنات اورشليم من تحبهـا نفسك سواي ؟ ألا
ان المحبة اقوى من الموت والغيرة اشد من الهاوية وليس في وسع
الغمر ان يطفىء لهيبها المندلع

كلما غربت الشمس اهيم بوجهي على بطاح « موآب » لان نفسي
تطلب العزلة وتنادي من تحبه نفسي لان حبيبي لي وعين الآلهة

ترعاه في الليل وتحرسه في النهـار . وكلما ابصرني رعاة الاغنام قالوا : « من هذه المعطرة بالمرّ واللبـان . الهائمة على وجهها في البراري والقفار ؟ »

ما أعذب حبك في القلب . لقد سَبَيتني بعينَيك واشعلت في قلبي جذوة الحب . شفتاك تقطران شهداً وتحت لسانك عسل شهي رائحة ثيابك كرائحة لبنان وكرومك جنائن فيها ينابيع أعذب من مياه الفردوس

أنا نائمة وقلبي مستيقظ . عيناي تنظران الى ادغال الزيتون الى جبل صهيون حيث يتجلى مجد الحبيب . تحسـدني العذارى لانك احببتني . لان عينيك ترقبانني دائماً . حفظة اسوارك يسيرون خلفي ليحرسوني من قسيّ الاعداء . لذلك يتغنى لك قلبي وينشد نشيد العذارى العبرانيات لان حبك يملأ القلب ويفيض على الروح

في الليل اغمض عينيّ لاراك في المنام لان نفسي تشتاق اليك واذنيّ تحنّان الى صوتك الرخيم . لي مسكن ولك مسكن . مسكني بين خمائل التفاح وشجر الوعر . ومسكنك في سويداء الفؤاد . بل لك في كل قلب عرش يبقى الى الأبد . ألم تتملقك ملـكة سبا وعذارى فينقيا وبنات الـكهنة ؟ ألم تخطب الملوك ودّك وتقدم اليك البخور ؟ في ذلك مجد لك وفرح لي . ولـكن حمة الغيرة تـكاد تلسعني والغيرة أقسى من الهـاوية . حبيبي لي وانا له . هي

امنيّة ابعث بها على اجنحة النسيم . لينعم بالك واتبتسم لك الايام . ذكر جمالك خالد الى الابد . تتغنى به العذارى من جيل الى جيل . بنات الاجنبيّ يتوددن اليك . ولكنك تزدريهن لان شوليت تحبك وقد وقفت قلبها عليك . لتكن كل امرأة فدية لك . عذارى اسرائيل يتحادثن همساً عنك . اما انا فحبي لك ثابت لن يتزعزع الى الابد . اجذبني وراءك فاتبعك . اجعلني امةً لك . فتفرح نفسي وتبتهج . وتلهج بذكرك شفتاي

شولميت



## الرسالة الثامنة عشرة

( من اللورد بيرون الى تريزا )

(كان اللورد بيرون اشهر شعراء الانجليز في عصره واعرقهم جاهاً واكثرهم تنقلاً . طاف بأكثر اقطار اوربا واطلق لنفسه عنان الشهوات فلم يرَ امرأةً الا احبها ولا رأته امرأة الا أحبته لانه كان من اجمل اهل زمانه طلعةً واعذبهم حديثاً . ولولا نزق الشباب الذي لزمه كل ايام حياته لكان له بين ابناء جلدته مقام فوق مقام شكسبير

ولد جورج غوردون بيرون في سنة ١٧٨٨ من امرة نورماندية يتصل نسبها بجيمس الاول ملك اسكتلندا . وكان ابوه مسرفاً متبذلاً فورث منه جورج هاتين الخلتين . وظهر فيه الميل الى الشعر منذ حداثته فاتقن اللاتينية واليونانية ليستعين بهما على تهذيب اسلوبه . وكان اساتذته يفتخرون به ويعجبون بنجابته . ولم ينحصر ولعه بالشعر فقط بل تعداه الى اكثر الفنون الجميلة . ولما كان في السادسة عشرة من عمره احب فتاة غنية تدعى ماري شاورث وكانت مخطوبة لغيره ولكنه لم يكترث لخطيبها بل بادلها الحب فاجتمعا مراً مراراً الى ان

انكشف امرها ففرق الاهلون بينهما ونظم فيها قصائد عدة لا تزال محفوظة حتى الآن

وفي سنة ١٨٠٩ انخرط في سلك مجلس الاعيان الانجليزي ولكن مطامع الشباب كانت تحدوه الى ارتياد الاقطار فسافر في السنة التالية الى بلاد اليونان ومنها الى اسيا الصغرى . واقام بالشرق مدة طويلة ثم عاد الى انجلترا ونشر جانباً كبيراً من قصائده . وكان لصديقه اللورد ملبورن زوجة جميلة تدعى كارولين فاحبها واحبته وجرت بينهما امور افضت الى الفضيحة واحب بعدها اللادي اكسفورد واللادي وبستر وغيرهما . ثم خطب مس ملبانك وهي من اسرة غنية فتزوجها في سنة ١٨١٥ ولكن اقامته معها لم تطل كثيراً فاجأت في السنة التالية الى منزل ابيها متهمة زوجها بامور لا موضع لتفصيلها . وفي سنة ١٨١٦ سافر بيرون الى البلجيك ومنها الى مدينة البندقية بايطاليا . وكان كلما عرج على مدينة علق بحب امرأة . واقام بضواحي البندقية بضع سنوات ارخى لنفسه في خلالها عنان الشهوات واتخذ زوجة الكافليار جوتشولي واسمها « تريزا » حظيةً له . وكانت على جانب عظيم من الجمال والدهاء فكان عهد غرامه بها اطول من عهد غرامه بأي امرأة اخرى اذ اقامت معه

اربع سنوات اخلصت له الحب في خلالها . ثم انتقل بها الى مدينـة رافانا وادعى انها زوجته الشرعية . وظلا يتنقلان من مدينة الى اخرى والحكومة النمسوية تشدد الوطأة عليهما لان ايطاليا كانت في ثورة على النمسا وبيرون يؤيد الثائرين وحظيته تريزا من اسرة مشهورة بعداوتها للنمسا . فهاجر بيرون وتريزا الى جنوى . وكانت مراجل الثورة تغلي في بلاد اليونان ايضاً فرأى بيرون ان يذهب اليها ويحرض اهلها . وكان له في هذه الثورة يد لا يزال الروم يذكرونها بالتبجيل والاحترام اذ قاد احدى فرقهم وجاهد جهاداً كبيراً . وفي ١٩ ابريل سنة ١٨٢٤ توفي عن ســنة وثلاثين عاماً والحرب قائمة على قدم وساق بين الروم والاتراك . فبكاه الروم وبالغوا في تعظيم شأنه . ثم حنطوا جثته وارجعوها الى انجلترا . الا انه لم يدفن في دير وستمنستر حيث يدفن الانجليز عظماءهم

اما الرسالة الآتية مقتطفة من رسائله وقد بعث بها اليهـا من اثينا عاصمة بلاد الروم . قال : —

ايتها الحبيبة

وصلت الى هذه المدينة بعد مرحلةٍ كثيرة المشاق وما كدت استريح من وعثاء السفر حتى نزلت اطوف بالاسواق وامتع الطرف بجمال هذه البلاد التي أنبتتْ اوميروس وبندار وأوحت اليهما

بآي الشعر الخالد . وكنت وانا اسير في الازقة يخيّل اليّ انني ارى جمهوراً من الاغريق قد تجمهروا حول قيثــارة اوميروس ليسمعوا الياذته الخالدة ثم تمثلتْ لي عظمة اثينا البائدة ومن نبغ فيها من رجال العـلم والادب . على ان ما كنت اشاهده حولي من اثار العظمة لم يكن ليلهيني عن ذكراك لحظةً ولا انساني ايامنا الاخيرة في ايطاليا الجميلة التي اوحي فيها. الى هوراس وڤيرجيل ودانتي بما اوحي الى ابناء عمهم الاغريق

ولقد كنت اود ان تكوني معي في سياحتي هذه ليكون سروري اعظم وفرحي اتم . ولـكن مراجل الثورة التي تغلي في هذه البلاد تستلزم بقاءك بعيدةً عن مواضع الخطر لاستطيع متابعة الخطة التي اتيت الى هنا من اجلها . وانكِ لتعلمين انني ما اقدمت على هذه المجازفة الا لسببين – ( اولها ) ارضاء لضميري الذي لا يحتمل الضيم ( وثانيهما ) لابلغ من الشهرة الاوج الذي يعلو به شأني في عينيك ويمحو الـكلف الذي لطّخ صفحتي الماضية . وانني لاشعر كلما فـكرت فيك بقوةٍ غريبة تحدوني الى تحقيق تينك الغايتين وتؤيد ما رسخ في ذهني من ان المحب الصادق لا يجبن عن مقابلة اعظم موارد الهلـكة

وفي الواقع ان هذه القوة الغريبة ليست ثابتة على حالها بل هي تنشأ وتشــتد . فلا تمر بي ساعة الا وانت متمثلة لناظريّ حتى

يخيَّل اليّ ان شبحك ملازم لي في روحاتي وغدواتي وصوتك الشجي يرن في مسمعي ويشجعني على اقتحام الاهوال . واذا كنت آسف على شيء في هذه الحياة فهو انني اضعت جانباً من عهد الشباب قبل ان عرفتك وتمكن حبك من هذا الفؤاد . والذي يزيدني اغتباطاً بالحيـاة هو علمي بأن حبنا متبادل وان العاطفة الروحانية التي تتغلغل في صدري انما هي صدى ما يجيش في احشائكِ من لواعج الغرام . نعم ان لكل منا ماضياً يود ان ينساه ويسدل عليه الحجاب ولـكن من من الناس يخلو سجلّ ماضيه من صحائف سوداء ؟ واين المخلوق الذي يستطيع ان يتحدى الآلهـة بسجلٍ طاهرٍ نقي ؟ فلينسَ كلٌّ منا امسه الى ان يقف تجاه خالقه ولنغتبط بما هيأته لنا الاقدار من اسباب السعادة والهناء

والذي ارى ان المحب الصادق هو الذي يطوي كشحه عن الفائت ويغمض عينيه عن المستقبل فلا يبقى له من زمان الحيـاة سوى الحاضر يتمتع به وينعم عيناً بما قسمته له الآلهة . ولقد صدق من قال ان بصر المحب لايجاوز قيد الشبر لان رأيه في الحياة « ابيقوريّ »[1] ولسان حاله يقول : « لنأ كل ونشرب لان غداً

---

(١) اي على مقتضى فلسفة ابيقوروس وقد عزي الى اتباعه انهم يدعون الى التمتع باللذات الدنيوية (الناشر)

نموت » . اما نحن فنفضل الابيقوريين في اننا لا نقصر اهتمامنا على الحاضر فقط بل نجاوزه الى المستقبل ايضاً فتبني له المخيّلة قصور السعادة والهناء ثم نسعى لتحقيق ما تصوّره مدفوعين بعامل الحب الذي يقوى بمرور الايام ولا تؤثر فيه عوامل الزمن

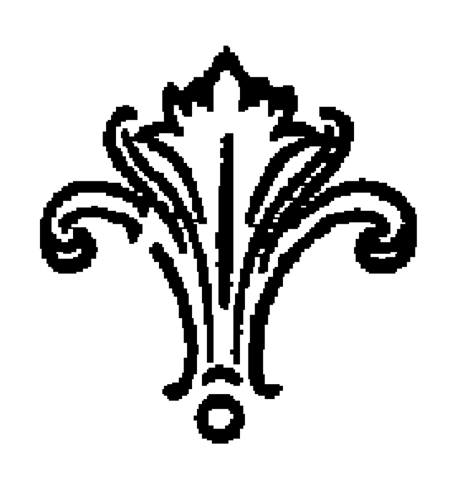
ولقد كنت اعتقد ان الحب عاطفة حيوانيـة غرضها اشباع الشهوات واستباحة كل ما تسوق اليه السليقة البهيمية . اما الآن وقد عرفتك فرأيي في الحب غير رأيي سابقاً ونظرتي في شخص المحبوب ادعى الى حرمتـه . ولا بد لي من الاقرار بأن حبك قد ازاح عن عينيّ ما كان يغشاهما من سحب الظلام ونبهني الى امر كنت غافلاً عنه وهو ان الحب الخالص يصيّر الناقص كاملاً والجاهل حكيماً والنزق عاقلاً . واذا كنت مديناً لاحد في هذا العالم بشيء فأنا مدين لك بالرغبة في هجر الماضي ونسيانه وبالعزم على انتهاج خطة أليق بنفوس الرجال . ولعل من اوجه الادلة على خلوص حبي لك شعوري بتزايده كل يوم واحساسي بأن شوقي اليك ينمو مع الايام . ولو اتسع لي مجال الكتابة لبثثتك ما يكنه هذا الفؤاد من الشوق المضني وما يتحمله في سبيل الحب من مضض الفراق . ولكنني اعلل النفس باجتماع الشمل بعـد هذا الفراق الذي ارجو ان يكون قصير المدى

ولو انكِ تعلمين كم اتسلى برسائلكِ اللطيفة ما اطلتِ عليَّ عهد انتظارها . فعسى ان لا يكون انتظاري هذه المرة طويلاً لان المحب قليل الصبر كثير القلق

جورج



## فهرست الكتاب



المطبعة العصرية

لصاحبها الياس انطون الياس

تليفون ٥٦٠-٢٠ مصر